حواديت السعادة

شريف أسعد

عنوان الكتاب : حواديت السعادة
المؤلف : شريف أسعد
المراجعة اللغوية : مصطفى عرام
الإخراج الداخلي : رشا عبد الله
تصميم الغلاف : أحمد الصباغ
رقم الإيداع : ١٣٧٧١ / ٢٠١٥
ردمك : 978-977-85204-4-6
الطبعة التاسعة : أغسطس 2015

المدير العام : هاله البشبيشى

تويا
دار تويا للنشر والتوزيع

دار تويا للنشر والتوزيع

dartoya2015@gmail.com

دار تويا للنشر و التوزيع Dar.toya

@Dar_Toya

Dar.toya

(+2) 01140899887 - (+2) 01000706014

٢٦٣ ش عبدالوهاب عبد اللطيف –كوبرى القبة –
القاهرة – مصر

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للدار

حواديت السعادة

شريف أسعد

دار تويا للنشر والتوزيع

إهداء

إلى تلك المرأة التي مهدت الطريق بالنجاح طوال الوقت، إلى الأم وقت أن أحتاج أما، إلى الصديقة وقت أن أحتاج صديقة، إلى الابنة وقت أن أحتاج ابنة

إلى المرأة المصرية

إلى زوجتي

شريف أسعد

"أنا حِلو.. "

لا مش شكلًا..

أناااا حِلو يا جماعة!!..

يا جدعان لا.. مش أخلاق برضُه.. ربنا يكرمكوا

أنا... أنااااا حلو

أنا اسمي حِلو.. نعم؟؟؟ انت اسمك أحلى؟!! ربنا يبارك لك فيه يا حبيبي.. يا رب ارحمني

اسمي في شهادة ميلادي "حلو".. أيوة.. أبويا وأمي سموني حلو.. يااااه.. أخيرًا فهمتوا؟!! صح.. اسمي حِلو.. أنا حلو

اسمي بالكامل؟؟! ضروري يعني؟!!

ما كفاية حِلو وخلاص يا جماعة!!.. لازم؟؟؟

أمري لله...

اسمي الثلاثي..

حِلو جميل خالص

إمم.. واضح إنه مفيش فايدة...

تعالوا احكيلكم الحكاية:

*****

في ذلك الفراش الوثير وفي صباح يوم شتويٍ شديد البرودة.. تقلب "حلو" وقد ارتفع صوت غطيطه ليُرجّ جُدران الغرفة التي تسلل ضوء الصباح الخافت إليها من وراء ستار النافذة التي توسطتها.. بينما حملت باقي جدران الغرفة تلك الصور التي احتلت الكثير من المواضع العشوائية فوقها.. وظهر "حلو" فيها جميعًا مبتسمًا مع نفس الفتاة التي تظهر إلى جانبه في كل صورة من تلك الصور.

كان "حلو" شابًا في نهايات العقد الثالث من العمر.. متوسط الطول.. يتسم جسده بالاعتدال والرشاقة.. بينما كانت ملامح وجهه تدعو إلى الابتسام.. لم يكن هناك سبب معين.. ولكن قسماته كانت دائمًا تصيب من يراقبها بنوبة من الضحك.. وخاصة مع بداية أي تعارف أو صداقة قد تحدث في تلك اللحظة التي يقدم فيها نفسه إلى من يواجهه قائلًا بكل سعادة وثقة:

"أنا حلو".

ربما كانت تلك القسمات مع طريقة الحديث الواثقة بالإضافة إلى اسمه الذي صرع الكثيرين ضحكًا بلا وعي سببًا مباشرًا للعلاقة التي نشأت بينه وبين تلك الفتاة الجميلة في أيام الجامعة.. حيث درسا سويًا في كلية الأداب.. قسم الوثائق والمكتبات.

تلك الفتاة التي توطدت علاقته بها يومًا بعد يوم.. مما زادهما قربًا في كل لحظة يقضيانها سويًا.

تحركت مشاعرهما بشكل متبادل بدون تدخلات من أي شخص.

كان "حلو" يعتمد تمامًا على ما يمتلك من كاريزما مُبهجة وطريقةٍ ساخرةٍ في كل تعاملاته.. كان شخصًا تلقائيًا للغاية.

لم يكن يبذل أدنى مجهود يُذكر لنشر الابتسامة على وجوه الجميع من حوله.. وكان لظهوره في أي مكان أثرًا قويًا يظهر جليًا في إرتفاع صدى قهقهة الضحكات من حوله.. وخاصة.. صوتها هي:

"سعادة"

نعم.. اسمها "سعادة".

كان اسمها بمفرده مدخلًا للسرور وإرسال البهجة في أعماق قلبه.. هكذا كان يراها دومًا.

حبيبة عمره.. وطريق حياته.. التي أصبحت بعد مرور سنوات عدة وسط كفاح الحياة وتخطي العديد والعديد من الصعوبات والمعوقات.. زوجته.

تلك الجميلة التي لم تكن الابتسامة تغادر وجهها حتى في أثناء نومها في بدايات زواجهما.. كانت "سعادة" رائعة القوام.. مُشرقة الوجه.. يزداد شكلها جمالًا وتألقًا واثارة مع تلك العوينات الرفيعة التي ترتديها.. والتي تختفي نهايات اطرافها بداخل ذلك الشعر الأسود الطويل المنسدل وكأنه يحرس ابتسامتها.. ويقود تلك الابتسامة إلى الشخص الوحيد الذي يستحقها.. "حلو".

كانت تلك الصورة الدائمة التي يراها بها.. منذ عرفها.. كانت أروع لحظاته حين كانت تقف بدلال في طُرقات الجامعة حين تنتظره آتيًا من بعيد.. في جسد رشيق ممشوق مثير يسرق نواظر المُحيطين.. وهي تُلوّح له بذراع مرتفع.. مناديةً بقوةٍ حتى يراها:

"حلو"

"ياا حلووووو"

"يا حلوووووووووووووووووو"

"إصحى بقى طلعت عين أمي يا أخي"

استيقظ "حلو" مفزوعًا على زُغد في كتفه سبب له ألمًا قارصًا لثوانٍ معدودة.. جعله يُحدق في ما حوله بذهول.. وكأنه يُطالع تفاصيل الغرفة لأول مرةٍ في حياته.. نظر إلى ذلك المُنبه الذي يجاوره للحظة والذى أشار إلى السادسة صباحًا.. مع صوت المذياع القادم من المطبخ والذي اختفت تفاصيل ما يُردد نتيجةً لوقوعه المتكرر فبدى ما يصدر منه وكأنها همهمة حوتٍ أزرقٍ

جائعٍ في قلب المحيط.. ثم ما لبث "حلو" أن عاود النظر إلى مصدر الزُغد مرة أخرى:

"سعادة"

التي وقفت تنظر إليه في غضب وقد قمطت رأسها بقطعة من القماش على نفس طريقة الهنود الحُمر لحظة خروجهم لمواجهة الغُزاة الأمريكيين في بدايات الزحف على أراضيهم.. لم يكن ينقصها إلا قليل من ريشات الديوك الرومي فوق الرأس وخطين متوازيين من برطمان الصلصة لكي تخطها أسفل العينين ليتم تنصيبها زعيمةً للأباتشي وتبدأ على الفور في مُمارسة مهام عملها بقيادة معركة تحرير الشاطئ الشرقي للقارة بجدارة.. هكذا رأها "حلو".

ولكنه ما لبث ان نفض الفكرة عن رأسه خاصة مع خطوات إبتعادها عائدة إلى المطبخ مرةً أخرى محدثة فحيحًا مرعبًا نتج عن احتكاك خُفيها بالأرض.. راقب "حلو" ذلك الخصر الذي عرفه بالماضي.. والذي تغير مع مرور الزمن وامتلأ بالدهون على مر السنوات الخمس التي قضوْها سويًا منذ زواجهما.

ثم بدأ في شعائر طقوسه الصباحية قبل النهوض من فراشه الدافىء.. بضع دقائق من الهرش في الرأس.. يليها دقيقة أو يزيد من محاولة الهرش في الظهر.. ثم بعض الهرش في الكتف.. وأخيرًا.. هرشٌ متواصلٌ مكثفٌ في البطن والأجناب والأرداف أثناء قيامه من الفراش وحتى وصوله إلى الحمام.

شرع في حلاقة ذقنه سريعًا وتبعها بغسل وجهه ورأسه وخرج وهو يُجاهد في تجفيف رأسه بمنشفة ممتلئة بالمياه وصاح وهو ما زال يضع رأسه داخل المنشفة البيضاء.

- يعني إنتي مش قادرة تحطي فوطة ناشفة بعد ما تتشطفي الصبح؟؟ لازم أصحي الاقي الفوطة عايمة نوعّة في المية؟!!

صاحت "سعادة" من داخل المطبخ وهي منهمكة في مطاردة صرصار صغير.. دفعه حظه العثر ليخرج في وقت خاطئ ليُفاجأ بها.

- كان في فوطة تانية ورا باب الحمام.. وفوطة تالتة على باب الأوضة وانت خارج تتغندر رايح الحمام.. وفوطة رابعة على حرف السرير مكان ما سبتها امبارح بليل زي كل يوم يا قنصل مدينة الوز.

انصت "حلو" في وجوم.. ورأسه ما زال مختفيًا داخل المنشفة وهو يفكر سريعًا في رد مناسب.. ولم يجد ما يُجيبها به.. فقال في اقتضاب مبتلعًا جُملًا من الأعتراض كانت في طريقها من المخ إلى اللسان ولكنه وجدها ضعيفة الحجة.

- نهايته.. يا ريت الفطار بس عشان عاوز أنزل

جاء الرد بسرعة من المطبخ مع صوت طرقعتين متتابعتين في سرعة رهيبة تدل على نهاية حياة مخلوق ما سحقًا.

- عندك على الطربيزة.. بيض مفقوش وساندوتش جبنة براميلي بالجرجير والشاي باللبن.

نظر لها "حلو" بعد أن أخرج رأسه من قلب المنشفة وشعره هائج كالمجنون وهي تخرج من باب المطبخ وعلى وجهها علامات ارتياح المنتصر.. ثم انعقد حاجبيه وقال في صوت غاضب.

- تصدقي بالله؟ انتي مفيش فايدة فيكي يا سعادة.. شوفي بقالنا كام سنة متجوزين.. من امتى انا بأكل البيض مفقوش؟؟؟ مين قالك تتبرعي وتفقشي البيض؟؟؟ انتي عارفه اني بحبه يا مسلوق.. يا اومليت.. انا قلت ألف مرة.. ما بحبش البيييض زففففت مفقووووش.. يخرب بيت الفقش على سنين الفقش السودة.. وبعدين كل يوم اقولك.. الشاي بالنيلة اللبن.. معاده بعد أم الفطار عشان بخش بيه الحمام.. ما بعرفش اشربه على الفطار.. لازم بعد الفطار.. لازم بعد الفطاااااار.. عشان يكون لسة سخن وأعرف ادخل الحمام أفضّي.

اجابت "سعادة" مُعقبة في سرعة

- خلاااص يا حلو.. آسفة.. نسيت.. بقالك شهرين وزيادة بتاكل البيض مسلوق كل يوم.. قلت اغيرلك عشان ما تزهقش.. فا فقشته.

رد "حلو" مُلوحًا بالمنشفة بكلتا يديه في عصبية.

- ما بحبوش مفقوش يا سعادة.. ما بحبوش مفقووووش ما انتي عارفة!!

- خلااص يا حلو.. معلش.. الشاي باللبن حـ..

قاطعها "حلو" في سرعة

- النيلة اللبن لو سمحتي

زفرت "سعادة" في يأس ونفاذ صبر.. ثم قالت مُستطردة:

- الشاااي بالنيلة اللبن حسخنهولك لو برد عشان تخش بيه الحمام.. حاجة تاني؟؟ لازم كل يوم كدة على الصبح؟!!

اجاب "حلو"

- ما هو أنا اللي بأعيد فيه.. بأزيد فيه بالشهور.. وانتي مفيش فايدة يا سعادة.. أنا زهقت

- لا يا حلو.. انت اللي بقيت عصبي وما بقتش عارفة اتكلم معاك كلمتين على بعض.. خصوصًا.. خصوصًا..

صمتت "سعادة" وقد أطرقت برأسها.. وخفت صوتها تدريجيًا.. مما زاد حدة التوتر لدى "حلو".. الذي قال مُحتدًا

- خصوصًا ايه يا سعادة؟؟؟ ها؟؟؟ اتكلمي؟؟ قولي بقى أي كلام.. إعملي من الحبة قُبة.. وأشيل أنا الطين مش مهم.. ها يا "سعادة" يا حبيبتي؟؟؟ خصوصًا ايه؟؟

ظهرت علامات التأثر الحقيقي على وجه "سعادة".. وبدأ بريق دموعها في اللمعان في طرفي مُقلتيها.. وهي تجيب في خفوت

- خصوصًا من ساعة موضوع الحمل

ظهرت علامات التوتر على وجه "حلو" الذي رد بسرعة محاولة منه لأخفاء هذا التوتر.. وإنهاء الموقف بشكل مُضحك

- سعادة.. أنا قلتلك ميت مرة.. أنا مش حامل

صدرت ضحكة قصيرة من فم "سعادة" على الرغم منها بينما دموعها قد بدأت تسيل على وجنتيها في صمت.. فأكمل "حلو" في سرعة محاولًا الخروج من الموقف.

- أو تصدقي.. يمكن أكون حامل فعلًا والعصبية دي نتيجة هرمونات زايدة عندي في الشهور الأولى باين!!

خرجت ضحكة أخرى من "سعادة" ولكن هذه المرة أقوى من سابقتها.. ونظرت إليه والدموع تنسال من عينيها بينما الحزن ظاهرٌ تمامًا على ملامح وجهها.. ولكن "حلو" لم يمهلها الكثير من الوقت.. فأكمل قائلًا:

- هو تفتكري حُبي للبيض المسلوق اكتر من المفقوش ده وحم؟؟ ولا ده عادي؟؟

ضحكت "سعادة" ضحكة عالية طويلة هذه المرة.. مما رسم على شفتي "حلو" ابتسامة حاول اخفائها ببراعة لتبدو على ملامحه علامات الجدية التي جعلت "سعادة" تزداد ضحكًا لدقيقة أخرى صمت خلالها "حلو" تمامًا إلى ان قال لها في النهاية في هدوء ممتزج بالحنان:

- إيه بقى على الصبح؟؟ في ايه بقى؟؟

نظرت له "سعادة" بإبتسامة حزينة.. ثم قالت في خفوت

- عارفة انك كان نفسك في الخلفة.. وعارفة ان ده سبب كل مشاكلنا دلوقتي.. بس.. بس أنا أسفة والله يا حلو.. ما كنتش اعرف اني ما بخلفش

وبدأت الدموع تتراكم في عينيها مرة أخرى وكأنها ستخلق سيلًا.. فقاطعها "حلو" قائلًا

- أولا.. مين قال انك ما بتخلفيش؟؟ الزوفلوميط دكتور اللي رحنالهم وهبروا دم قلبنا.. قالوا ان معدل الخصوبة والتبويض عندك ضعيف.. ما قالوش غير كدة.. وقالوا ان الحمل ممكن يحصل في اي وقت.. ولو مستعجلين قوي يعني ممكن نعمل عملية حقن مجهري طبيعي ونسبة نجاحها مرتفعة جدًا.. ايه بقى الفيلم الهندي الهابط اللي انتي عاملاه ده؟؟

- انت ناسي اننا حالتنا المادية ما تسمحش بالعملية دي خالص يا حلو؟؟؟ الموضوع مش سهل زي ما انت بتحاول تبسطه.. انت عارف.. وانا عارفة.. وكمية المنشطات اللي انا باخدها عشان زيادة الخُصوبة هي اللي مبهدلة جسمي ومخلياني عمالة ازيد في الوزن وانا تقريبا ما بأكلش

قاطعها حلو بحركة مسرحية وهو يقفز من فوق كرسيه مُلوحًا بالمنشفة مرة اخرى

- والنبي انتي ما عارفة أي حاجة في أي حاجة.. أنا أصلا بحب الكلابيظ يا بطة.. أنا حاخد الشاي بالنيلة اللبن وأخش الحمام خليني الحق أنزل أروح الشغل

ابتسمت "سعادة" ابتسامة هادئة وكأنها تعلم تمامًا أنه يحاول الهروب من الحديث كما يفعل في كل مرة.. وقالت له وكأنها تسايره

- طب والبيض المفقوش؟؟

- الـوحم يا سـعادة.. مـش قـادر اشم ريحتـه خالـص.. بطـني قلبـت.. عندكيـش جُعضيـض أو حتـة مخلـل؟؟!!

ضحكـت "سـعادة" ضحكـة عاليـة مجلجلة وهي تحـاول بهـا ازالة كل التوتـر الذي صاحـب الدقائـق الماضيـة.. في الوقـت الذي اتجـه فيـه "حلو" الي الحمام وهـو يحمـل كوب الشـاي باللبن ويحمـل أيضًـا عـلى وجهـه علامـات حـزن مكبـوت.

*****

أسرع "حلو" الخُطى عبر الرواق الطويل إلى مكتبه داخل مبنى دار الكتب والوثائق القومية.. ذلك المبنى المُطل على كورنيش النيل برملة بولاق.. والذي يحوي بداخله ملايينًا من الوثائق والمخطوطات والبرديات النادرة التي يعود تاريخ العديد منها إلى أكثر من ستة الآف سنة ويزيد

كانت عقارب الساعة في يده تُشير إلى الثامنة الا بضع دقائق صباحًا.. حين دلف إلى غرفته التي تضم عددًا من المكاتب الادارية الخاصة بزملائه في العمل الذين يشاركونه نفس الغرفة

كان "حلو" أول من يصل إلى مكتبه كالمعتاد.. فقد كان من القلائل في هذا المكان الحكومي الذين يعشقون عملهم.. ويقدرونه تمام التقدير

جلس إلى مكتبه وهو يتذكر رفضه التام الإلتحاق بكلية أخرى غير كلية الأداب على الرغم من أن مجموع درجاته في الشهادة الثانوية كان يؤهله بسهولة ويُسر إلى الإلتحاق بكليات

أخرى يطلقون عليها كليات القمة يعتقد الجميع أنها أوفر حظًا في مجالات العمل مُستقبلًا.. وكان على رأس هؤلاء الناس والديه الذين عارضاه بشدة لاختياره لمثل تلك الكلية.. وظلا فترة طويلة يحاولان بشتى الطرق توضيح مساوىء مستقبلها وفرص العمل المحدودة التى تكاد تقترب من الإنعدام.. وفرصه الضئيلة في الحصول على عمل مشرِّف يساعده على تحمل مشاق الحياة وتكوين أسرة وفتح بيت.. ولكنه صمم على هذا الاختيار رغم هذه المعارضة الشديدة التي وصلت في بعض الأحيان إلى حد الزجر والنهر والوعيد.. وبالفعل.. إلتحق "حلو" بتلك الكلية.. واختار الإنتساب إلى قسم الوثائق والمكتبات تحديدًا لولهه الشديد بالكتب والمخطوطات والتاريخ الوثائقي.. مما جعله مُتفردًا بين اقرانه من الدارسين.. ومتفوقًا بشكل لافت خلال رحلته الدراسية.. التي توّجها بالتخرج حاصلًا على تقدير إمتياز.. وهو الأمر الذي دفع إدارة الجامعة إلى مطالبته بأن يُكمل دراسته الأكاديمية داخل جدران هذا الصرح التعليمي ليُصبح معيدًا.. ولكنه أبى

رفض بهدوء مكتفيًا بهذا القدر الأكاديمي.. وقد دفعه ظمأه الشديد ورغبته في خوض التجربة العملية إلى السعي وراء وظيفةٍ تقربه من هوايته وعشقه الأوحد

وكأن القدر قد استجاب لمجهوداته وسعيه الحثيثين طوال اعوام واعوام من الاجتهاد والمثابرة.. حين استطاع احد اساتذته تزكيته بشدة في أروقة الوزارة ليتم وضع اسمه على رأس لائحة المقبولين للعمل الحكومي في دفعته

تذكر سنوات الوظيفة الأولى الدئوبة.. وتذكر كفاحه لسنوات في العمل بقوة وتقليله لنفقاته لأقصى درجة ممكنة فقط لكي يستطيع تدبير ايجار بيت مستقل وادخار مصاريف زواجه من الانسانة التي تنتظره منذ سنوات.. "سعادة"

ابتسم حين تذكرها وهو يعلم انه الآن قد حقق جزءًا كبيرًا من حلمه.. وها هو يعمل بالفعل وسط ما يعشق.. يُطالع يوميًا عشرات وعشرات من الكتب والوثائق التاريخية.. ويعمل في قوة وحب على توثيقها بكل وسائل التوثيق الحديثة.

كان لحبه الشديد لما يقوم به واقباله الدائم عليه برحابة صدر اثرًا مميزًا على ملاحظة رؤسائه لهذا الكد والاجتهاد في العمل.. فلاقى منهم جميعًا كل التشجيع.. وكان دائمًا محط اختياراتهم لأداء بعض المهام التي تستحق الاهتمام وتستدعي خبرة ومهارة مما زاده سعادة ورضى

قطع حبل افكاره دخول "عصام عبدالراضي" زميله في العمل وهو يلهث بشدة إلى المكتب

كان عصام شابًا في نفس عمر "حلو" تقريبًا.. أصلع الرأس.. بدينًا بشكل واضح.. تحمل ملامحه قدرًا من الطيبة وتدل ملابسه على انه من طبقة جيدة.. نظر إلى "حلو" وهو يشرع في الجلوس قائلًا

- صباح الفل يا عم النشيط.. انت يا ابني بتبيع لبن وتطلع على الشغل؟!!

ابتسم "حلو" دون ان ينظر اليه وهو يرد قائلًا

- صباح العسل يا عم الكسول.. انت اللي بتخلص قِدرة الفول وتيجي

نظر اليه "عصام" بعد ان ارتمى فوق مقعده في تعب وعلى وجهه ارتسمت اندهاشة مصطنعة وهو يقول

- كسول؟؟ يا راجل دي الساعة تمانية وعشرة بالظبط؟!! اومال اللي حيوصل بعد كدة حتقول عليه ايه؟؟

- انت كسول.. اللي حيجي بعد كدة حيبقى دبدوب

- آآآآه دا انت رايق بقى على الصبح وجي تهرج اصلًا.. ده موضوع تاني

- لا والله يا عصام.. ولا رايق ولا حاجة.. بالعكس.. انا مصدع ومتضايق شوية

نظر له عصام هذه المرة في اندهاشة حقيقية.. ثم ما لبث ان بدء في التراجع بجذعه مرتكزًا على مقعده مادًا يديه ضاربًا الهواء في حركاتٍ مسرحية تدل على أنه يعاني رعبًا كبيرًا وهو يقول

- مين ده؟؟ انت متضايق؟؟ حلو.. متضايق؟؟ انت مين يا راجل انت؟؟؟ وعملت ايه في صاحبي؟؟؟ انطق.. انت اكيد مخلوق فضائي.. فين صاحبي يا جدع انت.. خطفتوه في الفضاء يا جبناء؟؟!!! طيب كنتوا خدوني معاه والنبي فسحوني معاه

ابتسم "حلو" ابتسامة هادئة وهو ينظر إلى مكتبه دون ان يرفع نظره إلى "عصام" وقال في خفوت دون ان تفارقه الابتسامة

- الدنيا ما بتديش كل حاجة يا عم عصام.. ما انت عارف

إعتدل "عصام" في مجلسه وتبدلت ملامح وجهه وبدت عليها علامات الاهتمام الحقيقي.. وهو يقول في هدوءٍ متسائلًا

- موضوعك انت وسعادة برضه ؟!!

اومأ "حلو" برأسه ايجابًا في بطىء بدون أن ينطق والابتسامة الخافتة الحزينة لا تزال على شفتيه بينما لم يُشح نظره عن ذات النقطة التي تسمرت فوقها عينيه فوق مكتبه قبل دخول "عصام"، وكأنها بؤرةٌ مغناطيسية تجتذب نظراته لا يستطيع ان يحيد عنها.. مما دفع عصام إلى استكمال كلامه

- حلو.. انت وسعادة اخواتي.. انت يا عم شغال معايا بقالك فوق العشر سنين.. قبل ما تتجوزها اساسًا.. ولازم تفهم ان الموضوع ده مش بإيدك ولا بإيدها.. دي حاجة بتاعة ربنا يا معلم.. وبعدين يا أخي انت قلتلي كتير قوي إن "الزوهروميت" دكتور الـ...

قاطعه "حلو" بسرعة قائلًا

- زوفلوميط اسمها...

ابتسم "عصام" ابتسامة واسعة.. وهو يكمل

- الزوفلوميط دكتور يا سيدي.. قالوا لكم ان مفيش حاجة عضوية أو مشكلة عويصة تمنع الحمل.. فا لازم يكون عندك أمل انت وهي اكتر من كدة شوية.. وتفضلوا تحاولوا بانتظام.. هو انا

اللي حقولك يا حلو؟؟ دا انت سحابة بتمطّر علينا سيول أمل يا ابني.. انت مش محتاج اني أقولك ده.. انت عارف

أخذ "حلو" شهيقًا طويلًا بطيئًا.. ثم افرغه دفعة واحدة في زفرةٍ قوية سريعة.. وكأنه يفرغ معها كل التوتر والحزن من داخل صدره.. ثم حرك يديه الكامنتين فوق المكتب وهو ينظر إلى "عصام" قائلًا في ابتسامة حزينة

- ربنا يسمع منك يا عصام.. ربنا يسمع منك

قطع حديثهما وصول اثنين من الزملاء إلى المكتب ليتبادلا الصباح مع "حلو" و"عصام" مع قليل من المداعبات وسريعًا امتلئت المكاتب الأربعة في الغرفة بموظفيها.. وبدأ يوم العمل.. كالمعتاد

*****

ارتفع رنين الهاتف الأرضي في المنزل.. وهرولت "سعادة" من داخل المطبخ لتجيب النداء وهي تشرع في تجفيف يديها من أثر المياه والصابون في قطعة ملابس داخلية قديمة تخص "حلو".. بينما بللت المياه جزءًا لا بأس به من ملابسها.. إلتقطت سماعة الهاتف في سرعة وهي تجيب

- الو

جاءها عبر الجانب الأخر صوت والدتها التي تتصل بها بشكل يومي في مثل هذا الوقت من كل يوم لتطمأن عليها ويبدئان في الحديث حول أمور مكررة لا يملان أبدا من تكرارها

- الو.. أيوة يا حبيبة أمك صباح الفل

- صباح النور يا ماما

- البلياتشو نزل ولا لسة بيتنططلك على حبال الغسيل؟

- ماما.. لو سمحتي قولتلك بلاش كدة.. أنا أصلا مش ناقصة وتعبانة

- تعبانة؟؟ من إيه يا قلب أمك؟؟ هو المخفي نكد عليكي؟؟ زعلك؟؟ عمل حاجة اللي ينقرص في قاولونه ده؟؟

- ماما.. مفيش حاجة حصلت.. وبلاش بقى الطريقة دي وبلاش الكلام ده على حلو لإني فعلا بتضايق وانتِ عارفة كدة كويس

- عارفة.. عارفة وساكتة وشايلة في قلبي ومكتومة.. كله بسبب منبع الغم اللي انتي وابوكي بليتونا بيه.. أنا عارفة.. ابوكي كان طول عمره يحب يتفرج على السيرك وما صدّق شاف البلياتشو ده وجوزهولك ووافقك على طول.. اااااه يا مُرّي.. اكيد منكد عليكي.. اكيد

- يا ماما لأ.. حلو مالوش دعوة.. بقولك مفيش حاجة.. انا بس صاحية تعبانة وشكلي داخل عليا دور برد.. شوية وحابقى كويسة.. مفيش حاجة يا ماماااا

وكالعادة.. لم تقتل هذه الاجابة فضول الأم اللحوح التي كانت مصممة على ان تعاود السؤال حتى لو وصل بها الامر إلى اعادته ألف مرة.. انه حلو بكل تأكيد.. لا داعي للمراوغة.. هكذا تسير الأمور في الدنيا.. ولسوف تظل الأم تتسائل حتى تصل في النهاية إلى السبب الحقيقي الذي تجد عليه ابنتها هذه اللحظة.. وهو الأمر الذي تعلمه "سعادة" جيدًا.. وتعلم أن امها بشكل أوبأخر لا تمانع الإصرار في السؤال حتى وإن قضت ما تبقى من حياتها على الجانب الأخر من الهاتف فعاودت السؤال قائلة

- بقى بذمتك ودينك ما نكدش عليكي انهاردة؟!! ما غمش نفسك أكنك واكلة رغيف بابا غنوج حمضان؟!! ده ما فردش وشه من يوم ما اتجوزك غير مرتين تلاتة اما الأهلي كسب بطولة أفريقيا.. ده محتاج فرع شجرة تتحط في ركن البيت ويطلع يزعق عليه زي البومة

تحول صوت "سعادة" بسرعة إلى غضب عارم متصاعد.. انفجر في اذن والدتها من خلال سماعة الهاتف وهي تصرخ بكل قوتها ويرتج جسدها انفعالًا

- يا ماما قلتلك مفيييش.. مفيييش.. مفيييش حاجة.. حرام عليكم بقى ما تضغطوش عليا اكتر من كدة كفاية اللي انا فيه بقى.. لو في حاجة حقول يا ماما.. ولو مش عاوزة اقول مش حقوووول يا ماما.. حرام عليكم بقى.. حراااام

وتركت السماعة لتسقط من يدها وتستقر الي جانب قدمها بينما دفنت وجهها في راحتيها وأجهشت ببكاء عميق قوي.. وفوق فخذها امتد سلك سماعة الهاتف التي خرج من طرفها همهمة أمها غير المفهومة والتي تدل على انها ما زالت مُصرةً اصرارًا رهيبًا على معرفة سبب حزن "سعادة"!

*****

أشرف يوم العمل على الانتهاء.. ولم يتبق من الوقت سوى دقائق على موعد انصراف الموظفين.. بينما انهمك "حلو" في كتابة تقرير حول إحدى المخطوطات التي تسعى دار الكتب إلى توثيقها إليكترونيا بواسطة أجهزة المسح الرقمي الحديثة التى لا يوجد مثيل لها في الشرق الأوسط كله.. والتى قامت مكتبة الكونجرس الأمريكي بإهدائها إلى مصر لتوثيق هذا التراث الإنساني والحضاري الذي يُعد الأكبر على مستوى العالم بلا منازع.. وذلك حين دلف "عصام" إلى المكتب وهو يحمل بعض الملفات قائلًا

- حلو.. الاستاذ احمد عبد النبي عاوزك!!

ارتفعت رأس "حلو" وانعقد حاجباه في دهشة وهو يقول

- الاستاذ احمد عبدالنبي ؟!! غريبة! عاوزني أنا ؟؟ طيب مكلمش الريسة ليه؟!! يا ترى وكيل الوزارة شخصيًا عاوزني في إيه؟؟ على اخر اليوم كدة.. استر ياللي بتستر يا رب.. هو يوم مدوحس من أوله

أردف "عصام" في سرعة

- يا عم يعني حيكون عاوزك في ايه؟ قوم بسرعة روح شوف الراجل عاوز ايه وانت تعرف

اغلق "حلو" تقريره دون أن يُكمله.. ونهض من مكتبه وبدأ في تعديل هندامه بإهتمام وهو يستقل المصعد متجهًا إلى الطابق الأخير في المبنى حيث ينتظره الاستاذ "أحمد عبدالنبي".. الذي استقبله بترحاب وبشاشة.. وعلى الرغم من حالة الرهبة التي تملكت "حلو" في البداية لفارق السن والمستوى الاداري الكبير.. الا أن الرجل استطاع بخبراته وسماحته الكبيرتين أن يكسر هذا الحاجز ويتجاذب أطراف حديث ودي لطيف خارج سياق العمل مع "حلو" الذي بدأ مع مرور الدقائق يشعر بالإرتياح.. ولكن هذا الإرتياح لم يُخفِ ابدًا نظرات التساؤل والفضول في عينيه حول ماهية استدعائه بهذه الطريقة وفي مثل هذا الوقت.. وهي النظرات التي شعر بها الاستاذ "أحمد" بخبرة سنواته الكبيرة.. وكانت سببًا في ابتسامته المستمرة التي حاول من خلالها ادخال شعور الطمأنينة على قلب "حلو".. واتبعها بقوله

- ها بقى يا حلو.. أخبار الشغل ايه؟

ابتسم "حلو" ابتسامة واسعة وهو يرد في أدب وأهتمام

- الحمدلله يا فندم كل شيئ ممتاز بفضل توجيهات سعادتك

- يعني مبسوط في الشغل هنا؟

- يا فندم مش بس مبسوط.. انا كمان مُستمتع وسعيد جدًا والله

ابتسم الاستاذ "أحمد" ابتسامة أبوة.. وهو يقول

- عارف يا حلو.. انت بتفكرني بنفسي زمان وأنا في سنك.. كنت بحب الشغلانة دي قوي.. المكان ده يا حلو.. مش عاوز موظفين.. ده عاوز اصحاب مزاج عالي.. ناس بتحب الشغل ده.. مش بتأديه بس

ابتسم "حلو" وقد تفهم المغزى من كلمات الاستاذ "أحمد" وعاود النظر بأهتمام وكأنه يطالبه بمزيد من الإفصاح عن سبب استدعائه.. فأردف الأستاذ "أحمد" مُكملًا

- احنا عندنا موقف مهم محتاجين فيه حد زيك يا حلو.. حد زيك انت بالذات

بدت علامات الأهتمام على وجه "حلو" وهو يقول

- أأمر يا فندم.. تحت أمرك

ابتسم الاستاذ أحمد ابتسامة هادئة وهو يعاود الحديث

- الموقف اللي محتاجينك فيه.. موقف كان بيتطلب مننا نختار شخصية معينة.. شخصية مهتمة ومؤمنة بشغلها.. وبتحبه.. وتخاف عليه.. زيك كدة يا حلو.

اطرق "حلو" والابتسامة لم تغادر شفتيه وهو يقول

- يا فندم كلام حضرتك شرف ليا فعلًا.. وانا في منتهى السعادة بالإشادة دي.

أكمل الاستاذ "أحمد" قائلًا

- دي مش مجرد إشادة يا حلو.. دي متابعة لسنوات طويلة.. وتقارير بترفع لينا.. واختيارات دقيقة لناس معينة.. عندها خبرات محددة.. ودراسات اكاديمية مخصوصة.. واهتمام حقيقي وحب للتاريخ والوثائق.. وانت عندك كل ده من واقع تواجدك معانا هنا الفترة دي كلها.. انا عارف ده.. عشان كدة.. الوزير وافق على طلبي اللي وصيت عليك فيه بنفسي.. انك تكون مندوب دار الكتب في الموضوع ده

بدى الاهتمام مقترنًا بالتردد على وجه "حلو" مخافة ان يكون قد تم انتدابه للعمل في اي شيئ يبعده عن التعامل المباشر مع الوثائق والمخطوطات.. ولكن توتره لم يطل كثيرًا حيث أكمل الاستاذ "أحمد"

- انت يا حلو حتكون مندوب دار الكتب في حصر المخطوطات الاثرية الجديدة اللي اكتشفناها في غرفة سرية تحت متحف دار الكتب القديم اللي في باب الخلق

بدت الاندهاشة على وجه "حلو" وهو يكرر السؤال بحذر

- غرفة سرية ؟!!

اكمل الاستاذ "أحمد" حديثه قائلًا

- أيوة.. غرفة اكتشفناها من حوالي خمس سنين.. والوزارة تكتمت على الخبر في الوقت ده.. وحافظت على السر تمامًا لحد ما نكون جاهزين دلوقتي نعمل الحصر للغرفة دي

صمت "حلو" للحظات قبل أن يسأل

- طيب مين حيكون في اللجنة يا فندم معانا في الحصر

اسرع الاستاذ "أحمد" في اجابته

- لا لا.. لجنة ايه؟.. اللجنة دي حا تتكون بعد الحصر.. الموضوع لسة في طي الكتمان.. احنا عاوزين نعمل حصر مبدئي بعدد الكتب الأول وبعدين نشكل لجنة لرفع المحتويات ونقلها هنا عشان التوثيق والدراسة وباقي الشغل بتاعنا.. المهم ان في البداية عاوزين نعمل الحصر ده في هدوء بعيد عن الإعلام والكلام ده

نظر "حلو" إلى الاستاذ "احمد" لوهلة.. ثم بادر بسؤاله

- طيب يا فندم معلش.. سؤال.. انا مين حيوصلني للغرفة دي وحضرتك بتقول انها سرية ومحدش يعرف عنها حاجة

ابتسم الاستاذ "احمد" لسؤال "حلو" الذي يدل على انه في غاية التركيز وأن الموضوع بالفعل قد استرعى اهتمامه.. ثم قال

- الحج محمد العزازي

نظر له "حلو" نظرة تساؤل مما جعل الاستاذ "أحمد" يكمل قائلًا

- الحج محمد العزازي موظف قديم جدا في متحف دار الكتب اخر سنة ليه في الشغل السنة دي قبل المعاش.. حيكون في انتظارك بكرة الصبح عشان يساعدك في الوصول للمكان وهو الوحيد في المتحف اللي يعرف مكان الأوضة

صمت "حلو" وعلى وجهه علامات التفكير.. وما هي الا لحظات قليلة حتى سأل في أدب

- بس يا فندم مش ممكن التعامل في الموضوع ده في فترة النهار يخلي الموضوع عرضة إلى انه يخرج من نطاق السرية المفروض؟!

نظر الاستاذ "احمد" إلى "حلو" نظرة اعجاب وهو يقول

- واضح اننا ما غلطناش ابدا اننا اخترناك انت بالذات للمهمة دي.. كلامك بيوضح تمامًا انك مهتم بتفاصيل الموضوع.. مش مجرد مهمة وظيفية حتأديها وترجع مكتبتك.. طبعا عندك حق.. عشان كدة اتفاقنا مع الحج محمد العزازي انك تكون موجود معاه اخر النهار.. وما تبتدوش شغل غير بعد مواعيد العمل الرسمية.. بعد انصراف كل الموظفين اللي شغالين في المتحف

اومأ "حلو" برأسه متفهمًا.. ثم قال متسائلًا

- طيب يا فندم.. الوقت المحدد للموضوع ده قد ايه؟

اجاب الاستاذ "احمد" في هدوء

- الموضوع ده مهم يا حلو.. خد وقتك.. اعتبر نفسك في مأمورية مفتوحة لمدة اسبوع مبدئيًا من أول بكرة.. ولو الموضوع

محتاج أكتر من كدة.. قولي وكمل المأمورية.. المهم.. تخرج من البيت على هناك.. وتخلص شغل قبل النهار ما يطلع.. وتروّح بيتكم.. اعتقد أسبوع حيكون كفاية للحصر المبدئي وتقدر تعمل تقرير أولي وبعد كدة نشوف خطة حصر طويلة الأجل

تردد "حلو" قليلًا قبل أن يقول في خفوت

- ايوة يا فندم بس.. الريسة.. انا ما اخدتش موافقتها ولا قلت لها حاجة لسة وعايـ...

قاطعه الاستاذ "احمد" في حسم قائلًا

- انا كلمت الريسة خلاص يا حلو وفهمتها اني محتاجك في مأمورية خاصة بالوزارة ضروري من غير تفاصيل واخدت الإذن

ابتسم "حلو" ابتسامته البشوشة قائلًا

- خلاص يا فندم.. اعتبر الموضوع منتهي ان شاء الله.. من بكرة حاروح اقابل الحج محمد العزازي وابدأ شغل.. وان شاء الله انهي الموضوع ده في اسرع وقت ممكن

اقترب منه الاستاذ "أحمد" وربت على كتفه قائلًا

- عارف انك قدها يا حلو.. وعشان كدة اخترتك بالذات للموضوع ده.. بالتوفيق يا ابني.. خللى بالك.. الموضوع مش سهل أبدًا

ابتسم "حلو" وصافح الاستاذ "أحمد" مع تبادل عبارات الشكر والامتنان والوعد ببذل اقصى الجهد.. وخرج من مكتبه ودقات قلبه تزداد سرعة من فرط الاثارة.. مع كل خطوة يخطوها

*****

صعد "حلو" الدرج إلى شقته في همة ملحوظة.. مرتقيًا درجات السلم بسرعة.. ثم دخل إلى منزله وهو يُطلق صفيرًا مميزًا يدل على انه رائق البال ويشعر بسعادة غامرة.. على غير عادته في سنواته الأخيرة التي تبدل فيها حاله رويدًا رويدًا حتى بات صامتًا اغلب الوقت.. هادئ الطباع.. غابت عنه روح الدعابة التي كانت تجري في عروقه مجرى الدم منذ نعومة اظافره

كان يعيش لحظات لم تتكرر منذ سنوات طويلة للغاية.. كان يشعر بالسعادة بالفعل.. وكان احساسه بأنه يعيش تلك اللحظات.. يزيده سعادة في حد ذاته.. لذا ترك لنفسه الاستمتاع كاملًا بتلك اللحظات

وما ان اغلق باب المنزل وراءه.. حتى إلتفت ليجد "سعادة" تجلس في كُرسيها تملأه بلا حراك.. وهي تنظر إليه نظرات دهشة وارتياب كبيرتين.. حتى انه تلعثم وهو يخاطبها قائلًا

- بسم الله الرحمن الرحيم.. سلامُه عليكم.. مالك قاعدة كدة يا روحي؟

حدقت فيه لوهلة قبل ان تجيب بنبرة غريبة

- روحك؟!! ممم.. وعليكم.. السلام.. ورحمة.. الله.. وبركاته

ثم إلتزمت الصمت وهي ترقبه كالصقر.. بينما وقف يتطلع اليها وهو لا يفهم سر جلوسها في مواجهة الباب وسر تلك النبرة المخيفة التي ردت بها.. فكر ان يسألها ثم شعر انه لا داعٍ.. تردد.. ثم حسم أمره في النهاية مُتسائلًا

- خير يا سعادة يا حبيبتي.. إيه اللي مقعدك في وش الباب كدة؟؟ انتي قافشة فار جبلي من اللي بتطارديهم في المطبخ.. وجري على الصالة وخايفة يفتح الباب ويُخرج؟؟ هاهاهاهاه.. هاها.. ها

قضم ضحكته التي خرجت على الرغم منه بلهاء لا تمت للموقف بصلة.. بينما ظلت ترمقه بنظرة ثابتة لم يبد عليها اطلاقًا أنها قد استمعت لحرف واحد مما قال.. مما جعله يتوتر قائلًا في محاولة لإزاحة هذه اللحظات

- يا ترى.. ياااااا هل ترى.. عملالنا ايه من ايدك الحلوين دول النهاردة يا بطبوطة انتي يا كلبوظة يا كرونباية حياتي؟؟؟ كرونباية انتِ.. وربنا.. مش كدة؟؟؟ يا كرومباية.. كروووومبة.. هاهاهاهاه.. هاها.. ها.. ها

ضحكة بلهاء أخرى قضمها بعد ان شعر انه مصطنع للغاية.. وكأن "سعادة" قد تحولت إلى تمثال من الرخام وهي ترمقه بنظرة لا تزيغ.. وعلى وجهها علامات الاندهاش المخلوط بالاتهام.. مما

جعل "حلو" هذه المرة يُجزم بأن هناك كارثة ما قد حلت عليه.. ولكنه لا يعلمها بعد.. لقد كان في حالة مزاجية رائعة ولا يود ابدًا ان يُعكر صفو هذا الاحساس اي شيئ يُنغص عليه تلك اللحظة.. فقال في هدوء حذر

- هو.. ان شاء الله.. بإذن الله تعالى يعني.. خير ان شاء الله يا رب.. في حاجة يا سعادة يا حبيبتي؟؟

نظرت إليه سعادة وقتا طويلًا بذات النظرة مرت عليه كالدهر.. دون ان تحرك ساكنًا من مكانها.. ثم اجابت في هدوء

- انا اللي محتاجة اجابة على السؤال ده يا حلو.. هو في حاجة؟؟؟

بدت على وجه "حلو" علامات عدم الفهم ليتسائل

- في حاجة ازاي يعني؟؟ مش فاهم السؤال.. فين السؤال؟

ازداد انعقاد حاجبي "سعادة" وهي تقول

- انت عارف بقالك كام سنة ما سمعتكش بتصفر؟؟؟ عارف بقالك كام سنة بتخش ترمي السلام اكنك بترميه على ناس قاعدة على قهوة وانت معدي وتخش اوضتك تغير وتاكل وتنام من غير كلمتين على بعض؟؟؟ عارف بقالك كام سنة ما هزرتش معايا حتى قبل النوم؟!!!

توتر "حلو" للحظات وهو يُفكر في المأمورية التي ادخلت على قلبه الفرح.. وبالطبع حاول ان يُخفي تلك السعادة عن "سعادة".. فالأمر لا يزال سريًا.. في طي الكتمان كما وعد الاستاذ

"أحمد".. وهو عادة لا يتحدث في تفاصيل عمله مع "سعادة" منذ زواجهما.. ولن يغير هذه العادة الآن.. بحث في رأسه عن اجابة مُقنعة.. ولكنه لم يجد.. مما دفعه إلى القول

- عادي يعني يا سعادة.. ده انا طول عمري يعني لذيذ وسكر ولطيف وقمر.. وبعدين ما انتي عارفاني من ايام الجامعة.. هو مين اللي كان بيضحكك على طول ومضحك امة لا اله الا الله.. ما هو أنا.. حصل ايه يعني ؟!

نظرت له "سعادة" بتوجس.. وهي تُحدق فيه محاولة سبر اغواره.. ثم قالت

- شكلك كدة انهاردة.. مش مطمني.. مش عاجبني

انعقد حاجبا "حلو" مع شعوره انها قد لاحظت تلك التغيرات التي صاحبت شعوره بالفرح لمهمته الجديدة.. وشعر بالحنق انها تملك دائمًا تلك القُدرة على معرفة ما يخفيه من مشاعر.. فأجاب في توتر

- ليه يعني ؟؟؟ في بُقع مثلثة في وشي ؟؟ حصبة ؟؟ داخل من باب الشقة على تلات حتت مثلا ؟؟؟ ولا ساحب معايا كائن فضائي مريخي أخضر من غير دماغ ؟؟؟؟ هو إيه اللي شكلي مش عاجبك ده ؟!!

ولكن محاولاته لم يُكتب لها النجاح.. وظهر ذلك جليًا على وجه "سعادة" التي عاودت سؤاله

- انت ناسي انك نازل النهاردة الصبح.. وبوزك.. الله كبر.. اللهم لا حسد.. اطول من بوز العربية الكاديلاك موديل سنة سبعين؟؟ يا ترى ايه اللي ممّوي على مراوحك قوي كدة ومخليك راجع مبسوط وبتصفر لحن اغنية "وبقولك ايه تجيش نعيش"؟

اجاب "حلو" في توتر وسرعة

- ده مش لحن "وبقولك ايه تجيش نعيش" على فكرة

- لا هو لحن "وبقولك ايه تجيش نعيش"

- والمصحف الشريف يا سعادة ما لحن "وبقولك ايه تجيش نعيش "

- يا حلو.. انا سمعاه بوداني هو لحن "وبقولك ايه تجيش نعيش"

بدأ "حلو" في الإنفعال مع إصرار "سعادة" فقال بصوت بدأت نبراته في الإحتداد

- انتي بتسمعي اي كلام يا سعادة.. وأنا بقولك إنه مش "وبقولك ايه تجيش.. نتزفت.. نعيش" خلاص بقى

- هو اللحن.. لما تعمل ايه.. انا متأكدة

توقف "حلو" وقد بدأت الدماء تتصاعد إلى رأسه.. واشار بكلتا يديه إلى اعلى.. وهو ينظر إليها في غضب مستنكر

- إيه ده؟؟؟ آآآآآآه.. هو انهاردة تلاتاشر في الشهر؟؟؟ مش تقولي من الصبح.. انا كنت ناسي يا شيخة.. تصدقي ظلمتك.. فهمت فهمت.. ده يوم النكد الشهري بتاعنا.. انتي عاوزة تتخانقي.. معلش ما اخدتش بالي.. هيا بنا.. هيا بنا نبدأ فقرات نكد الفيل البتسواني المأسوف على شبابه

احمر وجه "سعادة" وهبّت من كرسيها واقفة في حدة.. وهي تقول في صوت بدأ في الارتفاع

- الفيل اللي بتتريق عليه كان غزال قبل ما يدخل بيتك.. وطبعًا محاولاتك انك تغير الموضوع مش حتنفع يا حلو

اردف "حلو" صائحًا

- قولت لك مش لحن زفت "وبقولك ايه تجيش نعيش"

اشارت له "سعادة" بالتوقف قائلة

- ما تستهبلش يا حلو.. انا مش بتكلم عن اللحن.. انا عاوز اعرف السبب.. حالًا يا حلو.. حاااالًا

اجاب "حلو" في سرعة ونبرة تدل على العناد

- سبب؟؟ مفيش سبب.. ده العادي بتاعي.. انا طول عمري كدة.. ظريف وخفيف ودمي سُكر.. ايه؟؟ جرى ايه؟؟؟ مستكترين عليا اكون مبسوط؟؟؟

ازداد غضب "سعادة" وهي تقاطعه قائلة

- يا حلو ما تخلينيش اتجنن يا حلو.. انت بقالك فوق السنتين شبه دولاب خزين المطبخ اللي بعجل.. ما بنشوفش سنانك غير وانت بتاكل او بتتاوب.. وما ضحكتش مرة واحدة غير اما عرفت ان ماما عضها كلب وهي بتجيب الخُضار من السوق

اسرع "حلو" بالمقاطعة قائلًا

- انا كنت بضحك على الكلب على فكرة.. مش على طنط.. وبعدين ماهي كمان جريت وراه بعد كدة لحد ما طلع على الشارع العمومي وخبطته عربية.. اهو اخد جزاءه.. يستاهل عشان يبطل رمرمة

اكملت "سعادة" بنبرة حادة وصوتها ما زال مرتفعًا

- ما لاكش دعوة بماما وقولي بقى من الاخر كدة.. مين دي اللي مخلياك مبسوط قوي وسعيد وراجع عمال تصفر.. تصفر.. ولا اكنك حكم ماتش المانيا والبرازيل؟!!

ارتفع حاجبا "حلو" في اندهاش حقيقي.. وهو ينظر لها مكررًا في استنكار

- مين اللي "مخلياني"؟؟ نعععم؟؟؟ مش فاهم.. انتي فاكراني مبسوط بسبب واحدة ست مثلا؟؟؟

اشاحت "سعادة" بوجهها.. وهي تتحرك في غضب وتوتر مرددةً في صوت مرعب

- اومال حيكون ايه مثلًا؟؟؟ شغلك اللي شغاله بقالك عشر سنين؟؟؟ ولا جالك خبر ان عمتك فاتن اللي في البرازيل عضها قرد بابوني وماتت وانت ورثت عنها كل املاكها من أروع منتجات مزارع البُن البرازيلي بتاع شارع فيصل؟؟؟

قطاعها "حلو" في اقتضاب

- انا ماليش عمة اسمها فاتن عايشة في البرازيل.. عمتي فاتن في الكويت

صرخت "سعادة" بكل قوتها قائلة

- حلللللللللو.. ما تجنيش.. مين اللي مخلياك مبسوط قوي كدة؟؟.. انطق ما تجنييييش

اجاب "حلو" في سرعة ممتزجة بالغضب ونبرة صوته تتسم بالضجر

- ان شالله اطفحها لو كانت حاجة من اللي في دماغك.. "مخليني" ايه وزفت ايه؟؟ هو انا ناقص قرف اصلًا.. حد يتهبب يفكر كدة تاني؟؟؟ دا انا بقالي خمس سنين من السرير للحمام للشغل للسرير تاني.. ده أنا وحشتني البلكونة.. أنا مش طايق نفسي في الأساس.. ارحميني بقى يا شيخة

اشاح "حلو" بوجهه.. ملوحًا بيديه في غضب وضجر بينما توقفت "سعادة" فجأة.. وعلى وجهها علامات صدمة بائسة.. تحجرت الدموع في مُقلتيها وهي تنظر إليه للحظات.. قبل أن تقول في خفوت

- بقيت قرف خلاص دلوقتي يا حلو؟.. سعادة اللي مستحملة وشايلة المُر ده كله.. السنين دي كلها.. ومستنياك.. ومستحملاك.. بقت قرف؟!

صمت "حلو" تمامًا وهو يستند إلى ظهر احد المقاعد في المنزل دون ان يلتفت اليها.. مما جعلها تُردف مكملة

- انما انت عندك حق.. خلاص.. سعادة اللي ضحت واللي استحملت ما بقتش سعادة بتاعة زمان.. لا الشكل ولا الطبع ولا أي حاجة.. حتى مش عارفة تجيب لك الولد اللي نفسك فيه من يوم ما اتجوزنا من خمس سنين

انتفض "حلو" ملتفتًا وكأنما ضربته صاعقة.. وهو يصيح في غضب هادر قائلًا

- الخلفة الخلفة الخلفة.. إيييييه؟!!.. انتي كل شوية حتنكدي علينا بسبب الخلفة؟؟ ما خلاص بقى.. ارحميني وارحمي نفسك.. حاولنا ومش عارفين بقالنا سنين.. خلينا بقى نعيش في الهم اللي احنا فيه واحنا مستحملييين وساكتين.. ارحمينا بقى.. ارحمييينا وارحمي نفسك

وهنا فقط.. اطلقت "سعادة" لدموعها العنان في صمت.. اخيرًا باح "حلو" عن مكنوناته بدون ان يشعر.. مما جعلها تقول

- فعلًا يا حلو.. هو هَم وعايشين فيه.. فعلًا.. لا بنتكلم ولا بنشوف بعض تقريبًا الا صدف.. انت صاحي وانا نايمة.. وانا

نايمة وانت صاحي.. اللي كان ممكن يجمعنا ويخلينا نستمر.. مش مكتوب له انه يكون موجود

توقفت "سعادة" للحظة.. قبل ان تقول في نبرة اصرار وعناد

- انا ماشية يا حلو.. ماشية وسايبة البيت.. هاروح لأمي.. على الاقل حاكون متأكدة انها مش حتبقى عايشة معايا في هم

لم ينبس "حلو" ببنت شفة.. وهو يستمع إليها.. ففي داخله كان يوافقها في كثير مما قالت عن سبب تفاصيل حياتهما التي أصبحت مملة.. بالفعل مسألة الأولاد لها عامل كبير فيما وصلت إليه حياتهما من توتر وفتور.. ولكنه أيضا كان يحبها بالفعل.. ماذا يفعل؟؟ ماذا يفعل؟؟

كرامته وكبريائه كرجل.. منعاه من أن ينطق في تلك اللحظة.. وكان سكوته ايذانًا لها ببدأ التحرك الفعلي.

في خلال دقائق.. كانت "سعادة" قد انتهت من تحضير حقيبة ملابسٍ خفيفة لها.. وأبدلت ملابسها.. لتفتح باب المنزل.. وتصفقه ورائها في عنف.. بينما جلس "حلو" في طرف المنزل.. دون حراك.. وفي داخله تتصارع ألف رغبة بين اللحاق بها.. وبين تركها بضعة أيام حتى ينتهي من مأموريته علّ الأمور تهدأ قليلًا.. وفي النهاية تملكته رغبة اليأس في اللحاق بها.. فجلس بلا حراك.. بينما تبتعد "سعادة" عن المنزل في طريقها إلى منزل والديها القريب من منزلهما

ودموعها تعكس ضوء شمس المغيب في صمت

*****

استيقظ "حلو" منتفضًا على صوت المنبه الذي اشارت عقاربه إلى الحادية عشرة صباحًا.. مما جعله ينتفض مجددًا وهو يحدق فيه بذهول وعقله يصرخ بأنه قد تأخر عن موعد العمل.. واعتدل في مجلسه فوق الفراش مُسرعًا منتفضًا.. وهو ينادي بصوت منزعج

- حرام عليكي يا سعادة الساعة حداشر.. انتي بتستهبلي؟!! سايباني نايم كل ده؟!

ولكن "سعادة" لم تجب هذه المرة.. مما جعله يسترجع ما حدث امس ليتذكر انها ليست في المنزل لأول مرة منذ زواجهما.. وانه من قام بضبط توقيت استيقاظه لأول مرة في تاريخ عمله على هذا التوقيت.. بعد ان قرر الاتجاه إلى مأموريته التي يجب ان تبدأ بعد موعد انصراف العاملين بمتحف دار الكتب

جلس "حلو" قليلًا وهو مُطرق الرأس.. تبدوعلى ملامحه علامات الحزن والإرهاق.. ولكن عقله الباطن ظل يرسل إليه مبررات لتجنب هذا الحزن على شاكلة

"يعني هو انت أول واحد مراته تسيب البيت شوية.. يا عم كبر مخك"

"معلش.. اهو اسبوع ترتاح فيه شوية من نكد الفيل البتسواني المأسوف على شبابه المُستمر"

"مراتي مسافرة وحأعمل حفلة بس يا ريت ما تجيش على غفلة"

نفض "حلو" رأسه بعنف.. وكأنه يحاول ان يُسقط منها تلك الأفكار.. في الوقت الذي شعر قلبه بمرارة حقيقية حين تذكر "سعادة"

في الحقيقة لم يعتد ابدًا عدم وجودها.. كانت له كل اركان حياته.. كانت تملأ عليه دنياه

قفز عقله الباطن مرة أخرى وهو يصور له "سعادة" قائلًا

"اه طبعا.. لازم تملأ عليك دنيتك واخرتك.. انت مش شايف بقت اد ايه؟؟ انت وش فقر شكلك"

نهض "حلو" من طرف فراشه وهو يزفر في غضب وكأنه يحاول النيل من عقله الباطن الذي يُلقي اليه بتلك الأفكار الشريرة على الدوام.. حاله حال كل الازواج الرجال

اتجه إلى الحمام ليغتسل كما يفعل كل يوم.. امتدت يده ليسحب المنشفة.. فوجدها جافة عكس كل يوم.. حيث دأبت "سعادة" على تركها مبللة بالماء

شعر "حلو" بغصة في حلقه.. حزن يعتصر قلبه

غصة ما لبثت ان تصاعدت بسرعة.. ليتخذ في اعماقه قرارًا نهائيًا منتصرًا على عقله الباطن.. قرارًا بأنه سوف يعود مع "سعادة" للمنزل بعد انتهاء اعمال مأموريته الليلة.. الليلة وليس غدًا.. سيذهب إليها.. سيُطيب خاطرها ببعض الكلمات الضاحكة كالعادة.. ستتدلل في البداية.. لها كل الحق.. ثم ستحوم أمها حولهما كطائر العنقاء الذي يبحث عن فريسة.. هكذا اخبره عقله الباطن.. حقًا انها المرة الأولى التي يوافق عقله الباطن على ما يلقي إليه من كلمات هذا الصباح.

سيحاول "حلو" ضبط النفس مع امها رغم الاستفزازات كما كانت قوات الشرطة تحاول مع المعارضين.. وفي النهاية.. لا بأس إن انطلقت رصاصة طائشة استقرت في رأس أمها.. قضاء وقدر.. والاجابة جاهزة.. "إحنا ما عندناش خرطوش".. لكم سيكون سعيدًا.. سوف يبذل كل شيئ حتى يعود مع "سعادة" إلى منزلها

بدأ الشعور بالراحة يعود تدريجيًا إلى كيان "حلو" مع شعوره بأنه افتقدها بالفعل.. لم تمر ساعات الا وكان قد افتقدها.. لا شك.. انه يحبها بالفعل

أكمل "حلو" ارتداء ملابسه على عجل.. وفي تمام الثانية عشر والنصف ظهرًا.. خرج من منزله بعد أن وضع بعض اللقيمات من

الجبن في فمه رأسًا من داخل الثلاجة.. مُتجهًا إلى متحف دار الكتب.. حيث ينتظره عمل شاق.. ومثير

******

لهث الاستاذ "محمد العزازي" وهو يسرع الخطى نحو بوابة الأمن التي تتواجد على مدخل متحف دار الكتب.. حيث ينتظره "حلو" حسبما ابلغه رجال الأمن

كان الأستاذ "محمد العزازي" رجلًا في بدايات العقد السادس من العمر.. طويل القامة رفيع الجسد.. تبدو على ملامحه علامات النشاط والكد والعمل.. حليق الذقن.. اشيب الرأس.. ورغم الوصف الذي يبدو في مجمله دالًا على المشيب الا ان الرجل كان شعلة نشاط وحيوية وتطل من نظرات عينيه علامات الذكاء والتركيز

استقبل "حلو" في ترحاب وبشاشة.. واقتاده إلى داخل المتحف حيث اشارت عقارب الساعة إلى الثانية والنصف عصرًا.. وهو يسأله

- قالولي ان اسم الكريم حلو.. وقعدت فترة طويلة عقبال ما إستوعبت.. يا ترى الاسم بالكامل ايه؟؟؟

- ضروري يعني يا استاذ محمد؟؟؟

ابتسم الاستاذ "محمد" وهو يتوقف في منتصف الطريق ويلتفت إلى "حلو" متسائلًا

- هو ايه اللي ضروري يا ابني؟ هو سر لا سمح الله؟؟ انا جايالي التعليمات ان الاستاذ حلو جي في مأمورية معينة.. ومحدش يعرف عنها حاجة.. حتى زي ما شفت.. لا سجلنا اسمك في كشوف الأمن ولا حاجة.. انما انا ما اتعودتش غير اني اخد احتياطي دايمًا واعرف بتعامل مع مين.. المواضيع دي مهمة جدًا بالنسبة لي.. دي أثار بلد يا ابني مش لعبة

ابتسم "حلو" في تفهم وهو ينظر إلى الاستاذ محمد قائلا

- الله ينور عليك يا استاذ محمد.. أنا بس اسمي عاملي مشكلة من زمان ومش عاوز اشغلك بيها

نظر اليه الاستاذ "محمد" وهو يقول

- مشكلة؟؟ في اسمك؟؟ خير يا ابني؟؟ هو اسمك عيب؟؟!!

- لا.. اسمي جميل

- طيب طالما جميل.. ما تقول عليه

ابتسم "حلو" مداعبًا وقد اعتاد مثل هذا الارتباك الذي يسببه لكل من يسأل عن اسمه

- ما انا بقول جميل اهو

- ايوة يا ابني.. خلاص عرفت انه جميل.. ان شاء الله يطلع جميل.. اسمك بقى حلو إيه؟؟؟

- جميل يا استاذ محمد

بدأ وجه الاستاذ "محمد" في التغير.. وظهرت عليه بوادر الانزعاج.. مما دفع "حلو" إلى الاسراع في حل الموضوع قبل أن يتفاقم مع الشيخ الكبير.. أسرع يستخرج البطاقة من محفظته.. ويناولها للاستاذ محمد الذي نظر إليها برهة.. ثم انفجر ضاحكًا حتى كادت شرايينه تنفجر.. إستند إلى كتف "حلو" وهو ما زال يقهقه.. إلى أن ختم ضحكاته التي استمرت قرابة دقيقتين بفقرة من السعال المتواصل.. بينما "حلو" مُبتسمًا وهو ينظر إلى سقف المتحف غير مُبال وقد اعتاد على مثل هذه الأمور منذ ان وُلد

وأخيرًا تماسك الاستاذ "محمد" وهو ينظر إلى "حلو" ويده ما زالت تحتل نفس الموضع على كتفه قائلًا

- تصدق بالله.. أنا مضحكتش كدة من زمان يا ابني.. ومن أول دلوقتي.. انا مش "الاستاذ" محمد.. انا اسمي الحج عزازي زي ما كل القريبين بيقولولي

ابتسم "حلو" وهو ينظر إلى الحج "عزازي" الذى ظهرت في نظراته تطلعات أبوية بينما واصلا السير إلى حيث مكتب الحج "عزازي".. حيث جلسا ليتبادلا أطراف الحديث حول تاريخ المكان.. وتواجد الحج "عزازي" منذ اكثر من أربعين عامًا بخدمة هذا الصرح.. مرورًا بكثير من المواقف والبطولات والذكريات التى تملأ أرجاء المكان

كان "حلو" مستمعًا جيدًا.. لم يشعر أي منهما بمرور الوقت إلى ان نظر الحج "عزازي" في ساعته وقال

- ياااه.. الساعة بقت خمسة ونص.. الوقت سرقنا.. كدة مفيش حد في المتحف من الموظفين خالص.. مفيش غيرنا.. إنت عارف المتحف مقفول للزوار والموظفين اللى هنا كل شغلهم اكاديمي للتوثيق مش اكتر

اومأ "حلو" برأسه مؤكدًا قائلًا

- اه طبعًا عارف.. انا شخصيًا ياما خلصت شغل هنا في المتحف بس الغريبة يا حج عزازي اني ما شفتكش ولا مرة

ابتسم الحج عزازي وهو يجيب

- اصل انا يا ابني شغلي مالوش علاقة بالمعروضات اللي بتشوفها وتتفرج عليا الزوار.. انا شغلى من أول اخر الطرقة هنا.. وانت نازل

انقعد حاجبا "حلو" في عدم تفهم لمعني الكلمة الأخيرة في حديث الرجل مما دفع الحج "عزازي" إلى الاستطراد

- اقصد يعني ان شغلي في الاجزاء بتاعة البدروم اللي فيه المخزن الاثري للمخطوطات والبرديات اللى تحت المتحف.

نظر اليه "حلو" وهو يقول

- تصدق يا حج عزازي.. أنا طول عمري نفسي أشوف المخازن الأثرية دي.. حتى نفسي اتعرف على شكلها.. وسبحان الله.. على الرغم من إن عندنا في المبنى الجديد غُرف ومخازن كتيرة قوي

لحفظ المخطوطات الأثرية.. الا إني طول عمري كان نفسي اشوف المكان التاريخي ده نفسه بعيني

إبتسم الحج "عزازي" وهو ينظر إلى "حلو" قائلًا

- اللي يُصبر يُنول يا ابني.. وواضح إن ربنا راضي عنك لأن في ناس بتقضي عمرها الوظيفي كله تتمنى تدخل المخازن دي وما بتعرفش.. ده في وزراء دخلوا الوزارة وما عرفوش يدخلوها

تبسم "حلو" مستمتعًا بالحديث.. في الوقت الذي نهض فيه الحج "محمد" واقفًا ببطئ وعلى وجهه اثار ألم بسيط ناتج من تيبس مفاصله من طول فترة جلوسها.. وهويقول

- بص بقى.. إحنا حنعمل كوبايتين شاي خمسينة.. نخلصهم.. ونـنزل على المخزن تشوف اللي وراك.. وحاعملك كوباية شاي بقى.. إنما إيه.. أراهنك إن مراتك نفسها ما تعرفش تعمل زيها

قفزت صورة "سعادة" إلى رأس "حلو" فور انتهاء كلمات الحج "محمد".. فتغيرت ملامح وجهه إلى الإقتضاب.. شعر بالحنين إليها.. مع شعور آخر بالسعادة أنه سوف يتوجه لها فور انتهائه من عمله الليلة.. ساعتين عمل فقط تفصله عن التوجه لها

ولكنه لم يعلم أو يتخيل للحظة.. أنه في طريقه إلى ان يواجه ما لم يكن يتوقعه

ما لم يكن يتوقعه أبدًا

*****

جلست "سعادة" على الأريكة العتيقة في منزل والدتها.. تلك الأريكة التي تحمل ذكريات شبابها وخطبتها وزيارة "حلو" لها قبل الزواج.. وعادت بعقلها وروحها إلى الماضي

- حلو.. ياااا حِلووووو

- حبيبة قلب حلو.. زغازيع جنب حلو اللي مخلياه على طول بيضحك زي العبيط في كل حتة.. أموت أنا بقى

ضحكت "سعادة" ضحكة جذلة ثم سألته

- ها؟ إيه رأيك بقى في أكل ماما؟

- يعععع

- حلوما تهرجش!!

- أنا ما عجبنيش منه غير السلطة اللي انت عاملاها.. أنا كلته بس عشان اجاملك.. وعشان برضه أمك ما تخليش يومنا أزرق منقط كحلي في كاروهات بُني

ضحكت "سعادة" مرة أخرى ثم قالت

- يا رب تسمعك وتيجي تتطلع عينيك.. أخص عليك يا حلو.. ده حتى أكل ماما جميل

- جميل؟! زي ابويا كدة؟!

انفجرت "سعادة" ضاحكة وهي تمد يدها إلى "حلو" بكوب الشاي الساخن ولم تتمالك نفسها بعد أن استمعت إلى جملته

الأخيرة فأنسكب الكوب بالكامل على قدميه فأطلق صرخة ألم ووقف يتقافز كالفأر الذي ضربته صاعقة وهو يقول

- احيييييييييه.. امك غالية الشاي عشان تغليني.. عاوزة تضيع مستقبلي.. اااااااه.. مش قاااادر.. شوفولي تلج.. تلللللج.. التسلخات حتبهدلللللني

بينما ضحكات "سعادة" تتعالى حتى كادت تفقدها وعيها.

عادت "سعادة" مرة أخرى إلى واقعها وهى لا تزال تجلس على ذات الأريكة.. وجدت ابتسامة الماضي لا تزال عالقة على شفتيها.. فعادت لتتذكر موقفًا أخر على ذات الأريكة بعد كتب الكتاب وقبل الزفاف

- بقولك إيه يا سعادة؟

- نعم يا حلو؟

- ما تجيبي بوسة

احمر وجه "سعادة" خجلًا و هي تتراجع في الأريكة قائلةً

- حلو.. ما تستهبلش

- شوفي.. أنا مش حمشي من هنا انهاردة غير لما أخد بوسة.. أنا معايا ورقة تثبت أحقيتي في الموضوع ده

- يا نهاري.. حلو!! ما تستهبلش.. كلها أسبوعين على الفرح.. ماما لو سمعتني بضحك كدة حتيجي تخرب بيتي

قفز "حلو" من كرسيه ليحتل موضعًا قريبًا من "سعادة" على الأريكة قائلًا

- حتجيبي بوسة بالذوق؟ ولا نلجأ للعنف؟ أمك في المطبخ بتغسل المواعين.. دي فرصتنا الأخيرة.. هاتي بوسة قبل ما تهجم علينا بسلكة المواعين

ضحكت "سعادة" وهي تحاول كتمان ضحكاتها بيدها ويدها الأخرى تدفع "حلو" للابتعاد عنها وهو لا يزال يحاول مُصرًا على ما قال وعلت ضحكتها اكثر وأكثر بينما ابتسامته تزداد اتساعًا على ضحكاتها التي تسعد قلبه

اخذت ذكريات "سعادة" تمر الواحدة تلو الأخرى.. إلى ان قطعها شعورها بدفء الدموع المنسالة على وجنتيها.. دموع تسيل في صمت.. مما زادها حزنًا

تذكرت "حلو" وتألمت بشدة.. كيف له أن يتركها ترحل وتترك المنزل.. كيف يمر يوم كامل دون أن يعيرها أي اهتمام

إلى هذه الدرجة إنتهى الحب من حياتهما؟!!

إلى هذه الدرجة فترت مشاعره تجاهها؟؟؟

لما؟؟

هل أهملت في نفسها إلى أن وصل إلى هذه الحالة؟؟!

أم أنه بكل تأكيد موضوع الخلفة.. بالتأكيد هو ذلك الموضوع

ماذا تفعل؟؟؟ ماذا تملك في هذا الموضوع؟؟؟

لا شيء...

يبدو أنها قد كتب عليها أن تعيش في ألم وحزن على غير ما طمحت وتخيلت في بدايات زواجها بحبيبها "حلو".. يبدو أن القدر دائمًا يحمل ما لا تشتهيه السفن للمحبين

يبدو أن حكايتها سوف تكون تلك الحكاية المكررة للسواد الأعظم من السيدات المتزوجات واللاتي انتهى بهن المطاف إلى ذات الجلسة.. وذات الدموع المنهمرة

قطع دموعها وحبل افكارها المتواصل دخول والدتها إلى غرفة المعيشة حيث تجلس هي وحيدة

وفي خطوات متثاقلة.. اقتربت الأم قائلة

- انتي لسة بتعيطي؟؟ جتك خيبة!! إيش حال ان ما كان اراجوز وهايف.. يا ما قلتلك.. دا مش حينفعك وانتي راكبة راسك.. العرسان كانت بتتحدف تحت رجليكي وانتي ماسكة في زعزوعة القصب دي.. وكمان قاعدة بتعيطي؟؟! يا خيبتك القوية.. محدش جابلنا الخيبة دي غيرك انتي وابوكي.. جاتكم وكسة انتم الأتنين

مسحت "سعادة" دموعها براحتها من فوق وجنتيها وقالت لوالدتها في لهجة حادة

- ماما.. انا مش ناقصة.. ارحميني وسيبيني لوحدي.. هما يومين تلاتة بالكتير وحأرجع البيت

كانت أمها في طريقها للجلوس على احد الكراسي ولكن كلمات "سعادة" جعلتها تقفز كالممسوسة صارخة

- يوميين وترجعي؟؟؟ ترجعي من نفسك؟؟؟؟ يا ختاااااااااااااي.. أصوّت والمّ عليا الناس؟؟؟ إنتي عاوزة ترخصي نفسك وترخصينا أكتر من كدة؟؟؟ مش حتتحركي من هنا غير أما اشوفه.. أشوفه وأقفشه بإيديا دول.. فُرقع لوز ده.. البلياااااتشووووووو.. وأطبق في زمارة رقابته وأطلع أحباله الصوتيه في إيدي

وبدت على وجه أمها وعينيها علامات شيطانية تنذر بأنها في طور التحول لشيطان مريد.. إلا أن "سعادة" قاطعتها في اثناء استمتاعها بتخيلات تمزيق "حلو" إربًا قائلة

- ماما!!! أنا قلتلك.. ما تتدخليش في حياتي مع حلو.. إحنا بنحل مشاكلنا سوا من زمان.. الحكاية كلها زي ما قلتلك مليون مرة.. أنا اعصابي تعبانة ومحتاجة أغير جو عشان قاعدة في البيت بقالي كتير.. هما يومين.. حتستحمليني ولا اروح عند خالتي؟؟!

أشاحت أمها بيدها في غضب وهي تتوجه نحو الكرسي وتجلس في بُطئ العجائز ولسانها يهمهم بكلمات غير مفهومة تحمل في نبرتها سبابًا ووعيدًا للمخلوق الأكثر استفزازًا في حياتها الآن.. "حلو"

شعرت "سعادة" بالارتياح جزئيًا مع سكون أمها.. إلا أنها في قرارة نفسها كانت تعلم أن أمها لن تجعل الأمر يمر مرور الكرام.. وأنها ستنتهز أول فرصة لتحيل الأمر إلى بؤرة من بؤر الجحيم

لم تأخذ تلك الأفكار من "سعادة" سوى لحظات قليلة.. ثم ما لبثت أن عاودت مرة أخرى الدخول في عالم الخيال والذكريات

الذكريات التي حملت لها في الماضي كل شعور "حلو"

وكل لحظات "سعادة"

*****

انتهى "حلو" والحج "عزازي" من ارتشاف أخر رشفة من كوب الشاي الساخن الذي أعده الحج "عزازي" بنفسه.. تبادلا اثناء الإنتهاء منه الحديث حول الوثائق والمخطوطات والبرديات الأثرية التي عملا خلال سنوات حياتها الوظيفية على توثيقها وحفظها رغم اختلاف السن وسنوات العمل

شرح "حلو" للحج "عزازي" ما وصلت إليه التكنولوجيا الحديثة في هذا المجال.. وكيف ساعدت على الأرتقاء والإهتمام بهذا الكم الذي يفوق الملايين من الوثائق المختلفة الحجم والخامة والزمن

بينما حدثه الحج "عزازي" عن مدى تأثره واهتمامه بالوثائق بشكل شخصي وشعوره وهي بين يديه حاملًا أثرًا تاريخيًا عظيمًا.. يُشعره بمدى وجوب حفاظه عليها من أجل نقل التاريخ إلى المستقبل.. تاريخ مصر والعالم أجمع

تحركا سويًا خروجًا من مكتب الحج "عزازي".. متجهين إلى حيث سيبدأ "حلو" عمله.. خلال أروقة المتحف.. إلى أن وصلا إلى المدخل المؤدي إلى المخازن القابعة أسفل المتحف

ذلك المدخل المغلق ببابٍ حديدي.. يحمل في جانبه رتاجًا إليكترونيًا رقميًا حديثًا.. وهو الأمر الذي شعر معه "حلو" ببعض الحنق.. حيث شعر أنه من غير اللائق أن يتم التعامل مع ذلك المكان الأثري بتلك التكنولوجيا التي لا تناسب طبيعة المكان وعبقه التاريخي.. إلا أنه عاد على الفور ليقنع نفسه أن ما تحمله الغرف أسفل المتحف من كنوز تاريخية يجب الحفاظ عليها بأي ثمن.. لا يهم إلا حمايتها والحفاظ عليها

نقرت أصابع الحج "عزازي" الأرقام في تتابع بطيئ.. فأصدر الرتاج صوت صفير قصير.. وتغيرت لون اضوائه من الأحمر إلى الأخضر كمؤشر على صحة أرقام التوليفة الإليكترونية.. ولم يلبث الحج "عزازي" ان سحب مقبض الباب بهدوء

كان الباب.. يحمل ورائه ظلامًا ممتدًا.. ودرجات تهبط إلى اللامكان

أطل "حلو" برأسه في فضول محاولًا أن يمد بصره عله يستطيع تحديد أي شيئ في الأسفل ولكنه فشل

إبتسم الحج "عزازي" وهو ينظر إلى إنفعالات "حلو" قائلًا

- أصبر على رزقك.. ما تستعجلش.. حنزل أهو بس استنى عشان أجيب الكشاف معايا لأن مفيش كهربا تحت في المخزن

تراجع "حلو" مندهشًا وهو ينظر إلى الحج "عزازي" في استنكار متسائلًا

- مفيش كهربا؟؟؟ ازاي؟؟؟ انا عارف ان في كهربا في مخازن المتحف السفلية من زمان!!

إبتسم الحج "عزازي" وهو ينظر إلى "حلو".. محاولًا إضافة أكبر قدر ممكن من التشويق إلى كلماته وهو يقول

- أيوة طبعا في كهربا في المخازن.. بس...

انتظر "حلو" ثواني مرت كالساعات وهو يتطلع إلى الحج "عزازي" الذي تبدو على ملامحه علامات الاستفزاز.. قبل أن يقول بلهجة حادة...

- بس ايه يا حج عزازي.. أحنا حنلعب من سيرح المليون؟؟؟ بس ايه يا حج قرداحي الله يكرمك؟؟؟

ضحك الحج "عزازي" في جذل وهو يستند إلى كتف "حلو".. ثم قال له

- في كهربا طبعا.. بس.. مش في الدور اللي إحنا حننزله

ضغط الحج "عزازي" على كلماته في الجزء الأخير دليل على الإشارة إلى شيئ ما.. وهو الأمر الذي فطن اليه "حلو" في لحظة واحدة متسائلًا في ذهول

- ايه ده؟؟؟ الدور اللي حنزله؟؟؟ هو في دور تاني غير دور البدروم اللي فيه الكتب؟؟؟

لم ينطق الحج "عزازي" وهو ينظر إلى "حلو" نظرة تشويق وإثارة كبيرتين.. كانت عيناه تلمعان سعادة لرؤيته تلك الانفعالات على وجه "حلو" الذى فغر فاه في ذهول.. وزاغت عيناه في محجريهما.. وتسارعت أنفاسه من هول الإثارة.. فأسرع في السؤال

- يا حج عزازي.. في كام واحد يعرفوا أن في دور تاني تحت البدروم؟؟

تطلع إليه الحج "عزازي" بذات النظرة الجذلة.. وهو يشير اليه بأصابع كفه قائلًا

- أقل من صوابع الإيد الواحدة.. وانت بقيت منهم

تسارعت ضربات قلب "حلو" في عنف.. وتدفق الأدرينالين إلى عروقه غزيرًا.. فشعر بنشاط مفاجئ.. دفعه إلى القول في سرعة

- طب ياللا يا حج عزازي.. الله يكرمك.. ياللا بينا.. عاوز أنزل.. مش قادر.. مش قادر أستنى

ضحك الحج "عزازي" وسعل قليلًا على سبيل الروتين.. ثم نظر إلى حلو قائلًا في نشاط مرح

- ياللا بينا يا عم.. خطّي برجلك اليمين وسميّ الله

إبتسم "حلو" في فرحة طفل صغير.. وتحرك خلف الحج "عزازي" متخذًا الدرج نزولًا وهو يقول

- وأدي رجلنا اليمين.. وبسم الله
وبدأت أولى ليالي المأمورية المُثيرة

*****

جلست "سعادة" في غرفتها القديمة التي شبّت فيها والوجوم يحيط بملامحها حيث اظلمت ارجاء الغرفة إلا من ضوء الاباجورة الملاصقة لفراشها.. في الوقت الذي دخل إلى غرفتها والدها ذلك الرجل الكهل الأشيب.. بعد ان طرق الباب في هدوء واقترب من سريرها الذي جلست فوقه مستندة إلى ظهره وهي تضم ركبتيها إليها وتحتضنهما وإلى جوارها فوق مكتبها القديم ذلك المنبه القديم الذي أشارت عقاربه إلى السابعة مساءً.. حتى جلس إلى جوارها وابتسم قائلًا

- حبيبة بابا حتفضل قاعدة لوحدها هنا كتير؟.. مش حتيجي تقعدي معانا شوية برة بقى؟؟

- لا يا بابا.. معلش.. كنت محتاجة اقعد لوحدي شوية

- اممم.. بتهربي من أمك طبعًا ولسانها اللى عامل زي المبرد.. عشان تعرفي بس اني ضحيت بنفسي من زمان وقاعد معاها لوحدي بعد ما اتجوزتي انت.. تعالي اقعدي معانا عشان خلاص وداني حتنشف و تقع زي ورق الشجر من زنّها

ابتسمت "سعادة" لمداعبة أبيها.. ولكنها لم تنطق مما جعله يكمل كلماته

- يا بنتي.. دي أول مرة تباتي برة البيت من غير جوزك.. حلو انسان طيب ومحترم.. واكيد لو في اي مشاكل بينكم لازم تتحل بالمناقشة والكلام

- يا بابا احنا لا بنتناقش ولا بنتكلم.. احنا عايشين زي اللي مش عايشين.. كل واحد عايش مع نفسه تحت سقف بيت واحد

- غلط يا سعادة.. الست الشاطرة هي اللي تتكلم مع جوزها وتعرف تعرض المشكلة.. والراجل الشاطر هو اللي يسمع ويطلع دايمًا من كل المشاكل كسبان مراته.. مش خسران مراته

ترقرقت الدموع في عيني "سعادة".. وقالت

- انا حاسة يا بابا انه خلاص ما بقاش يحبني.. حاسة انه كل يوم بيبعد عني فيه أكتر من اللي قبله ومش عارفة أعمل ايه

ابتسم الأب ابتسامة حانية.. وهو يقول

- يا بنتي.. كل البيوت بيعدي عليها الأوقات دي.. كل علاقة بيجي وقت ويمر بيها شعور رهيب بالفتور.. وعدم الإهتمام.. ودايمًا العلاج ما بيكونش بالسكوت.. انما دايمًا بالكلام والمناقشة والتواصل.. دا انتي متعلمة وعارفة.. مش كدة؟

- مش قادرة يا بابا.. حاسة اني عاملة عملة.. ومش قادرة اتكلم.. من ساعة موضوع الخلفة ده وأنا ما بنطقش.. ومش قادرة انطق

- لا إله إلا الله !! ليه يا بنتي كدة؟؟؟ هو انتي عاقر لا قدر الله؟؟ ده كل الدكاترة قالوا لكم ان مفيش أي موانع للحمل وإن ده موضوع بتاع ربنا فقط.. ليه حتحملوا روحكم أكتر مما تحتملوا يا بنتي ؟!!

سالت الدموع دافئة على وجنتيها وهي تقول

- أعمل إيه يا بابا.. قولي.. انصحني.. أعمل إيه؟

ربّت الأب على كتفها بحنان.. وهو يتبسم قائلًا

- انتي بتحبي حلو؟؟

اومأت "سعادة" برأسها ايجابًا.. فأكمل الأب

- يبقى بكرة الصبح تاخدي شنطتك.. وترجعي بيتك يا سعادة.. و أنا حتصدّر لأمك بنفسي.. يعني هي موتة و الا اكتر ؟!

نظرت له "سعادة" نظرة تردد وكبرياء دون أن تنطق.. مما جعله يُعقب

- يا بنتي العند ما بيجبش إلا العند.. وأنا لو مش عارف حلو كويس قوي أكنه إبني ومربيه.. مكنتش قولتلك روّحي.. روّحي يا سعادة.. واتكلموا يا بنتي بهدوء.. واتناقشوا.. فضفضوا لبعض.. واتفقوا.. وغيروا حياتكم.. الموضوع زي المذاكرة في المرحلة دي.. ومحتاج تركيز.. عشان تعدوا في الامتحان وتنجحوا.

نظرت إليه "سعادة" في شرود وهي تحاول أن تستوعب كلماته.. وتحاول أن تقنع نفسها بصحتها أمام كبريائها كإمرأة.. وتفهم الأب ما يجول في خاطرها من صراع.. فضمها إليه وأسند رأسها على كتفه مربتًا على ظهرها في حنان وهو يقول

- بكرة تفتكري الأيام دي يا بنتي.. وتفتكري إنك اتصرفتي صح.. وانتي قاعدة وسط ولادك وعاملين دوشة.. وجنبك جوزك حلو اللي بيحبك وبتحبيه.. ولا نسيتي يا سعادة؟؟؟ نسيتي كنتي بتقوليلي عليه إيه أيام الجامعة يا بنتي؟!!

صمتت "سعادة" وهي تستعيد ذكرياتها مع "حلو".. وذكريات حديثها مع أبيها عنه.. وسعادته بها وبأنها قد أصبحت فتاةً راشدةً تشعر بالحب.. وتصارح أباها.. تذكرت نصائحه لها.. وما ترتب عليها من قربها من "حلو".. تذكرت كل هذا وهي تتخذ في قرارة نفسها قرارًا هامًا

سوف تعود إلى المنزل في الصباح الباكر

*****

كان الدرج مظلمًا

خاصة مع دخول الوقت إلى ما بعد وقت العشاء...

ولكن المصباح الذي حمله الحج "عزازي" أمّن رؤية مناسبة لكليهما أثناء النزول..

حتى وصلا إلى الطابق السُفلي "البدروم"

جال "حلو" ببصره في ذلك المكان بهدوء.. وظل يتطلع إلى تلك الأحجار المكونة لجدران المبنى العتيق.. تلك الأحجار الكبيرة الحجم التى مر عليها من الزمن ما يتعدى المائة عام ويزيد..

امتدت يد الحج "عزازي" لتضيئ قابس الكهرباء.. فأضيئت بعض المصابيح خافتة الإضاءة المُعلقة في جوانب السقف.. وبدأت ملامح المكان تتضح شيئًا فشيئًا.. كان البهو الذي انتهى إليه الدرج متسعًا.. ليس له سوى ذلك المخرج الذي دلفا كل منهما من خلاله بالإضافة إلى ذلك الممر الطويل المظلم المقابل للدرج.. والذي يحتوي على غرفٍ متقابلةٍ على جانبيه.. بالكاد تتضح ملامح نهايته من خفوت الإضاءة

تقدم الحج "عزازي" إلى الممر.. يلاحقه "حلو" في لهفة والإثارة قد بلغت منه مبلغها فهو يسير الآن في قلب الممر الذي طالما تحدث عنه الكثيرون في أروقة الإدارة.. وتفاخر القليلون جدًا بأنهم ممن هبطوا إليه مرة في حياتهم

عبرا سويًا خلال الممر الطويل والأبواب الخشبية العتيقة على اليمين واليسار.. أبواب مُغلقة مصمتة مقتضبة الشكل واللون.. وكأنها تنظر إليهم تحذرهم من الإقتراب منها.. تحمي وتحمل ورائها من المخطوطات والكنوز ما يجعل مصر تتربع على قمة العالم في

اقتناء الأثار بلا منازع طوال التاريخ القديم والحديث.. كان كل منهما يعلم هذا جيدًا

حتى وصلا إلى إحدى الغرف.. وتوقف الحج "عزازي" أمامها.. وبدوره توقف "حلو".. ونظر الحج "عزازي" إلى "حلو" في محاول منه لإضفاء مزيد من التشويق وهو يبستم ويقول

- ها؟؟؟ جاهز؟؟

ابتسم "حلو" محاولًا التماسك وهو يجاهد لإضفاء القدر الأكبر من الهدوء على كلماته وهو يقول في سخرية

- جاهز طبعا يا حج "عزازي".. أحنا حنطلع هوا خلاص؟؟ جاهز إن شاء الله.. ذيع

ولكن نبرة كلماته خرجت مهزوزة رغمًا عنه اخفت طابع السخرية في كلماته.. مما جعل الحج "عزازي" يبتسم ابتسامة أبوة وهو يفتح مزلاج الباب ويدفعه إلى الداخل.. ويخطو بداخلها ومن ورائه "حلو"

كانت الغرفة خالية تمامًا.. مما أثار دهشة "حلو".. لا تحتوي على أي شيء.. لا وجود لأي وثيقة أو مخطوطة أو بردية واحدة.. لم تكن سوى غرفة كبيرة خاوية ليس اكثر.. لم يدم اندهاش "حلو" على حال الغرفة كثيرًا حيث طغى عليه اندهاشة أكبر وأكثر تأثيرًا وصلت إلى حد الذهول التام حين توجه الحج "عزازي" إلى أحد الجدران الحجرية.. وتوقف أمامها قليلًا يتأملها.. ثم لم يلبث أن امتدت يده وقام بدفع أحد الأحجار المكونة لذلك الجدار

بيده في قوة إلى الداخل.. فتحركت استجابة للدفع مُصدرةً صوتًا مكتومًا.. بدأ معها الحائط ذاته في الإنقسام والتباعد إلى جانبي الغرفة ببطىء شديد مُحدثًا صريرًا مُدويًا.. لم يكن أكثر دويًا من صوت شهيق "حلو" والتأثر الذي ظهر على ملامحه في تلك اللحظة.. إلى أن توقف جانبي الحائط عن التباعد.. ليكشفا عن درج أخر لا تظهر نهايته من شدة الظلام.. درجٌ يقود إلى حيث لا يعلم عن هذا المكان سوى القليلون في مصر والعالم بأجمعه...

*****

لحظات من السكون مرت على الغرفة التي انشق جدارها منذ لحظات

صمتٌ تام خيم على المكان وسط ذهول "حلو" الذي فغر فاه وكادت عيناه تقفز من محجريهما وهو يُحدق في الفراغ الذي خلفه الجدار وتظهر على بداياته درجات هابطة.. لم يقطع الصمت إلا إلتفاتة الحج "عزازي" ليتطلع إلى وجه "حلو" ويراقب تعبيرات الذهول على قسماته.. ويبتسم قائلًا

- إيه رأيك؟!

انتفض "حلو" وهو ينظر إلى الحج "عزازي" الذي أخرجه بسؤاله من حالة السبات العميق التي كان عليها.. وأجاب في سرعة

- انت بتسألني يا حج أكنك بتاخد رأيي في طعم الملوخية اللي عاملاها مراتك!!!

إنفجر الحج "عزازي" ضاحكًا لثواني أعقبها كالعادة ببعض السعال.. ثم قال

- الله يجازي شيطانك.. أنا قصدي إيه رأيك في اللي شفته لحد دلوقتي يا حلو

هز "حلو" رأسه مرةً أخرى قائلًا

- برضو يا حج عزازي السؤال ده يتسأل لواحد بيتابع طريقة عمل شاورما سوري من غير استخدام لحمة على قناة فتافيت!!! رأيي في ايه؟؟ أنا مش مستوعب إيه ده.. ولا مصدق.. أنا أكيد بحلم.. أكيد ده حلم.. دي حاجة زي الأفلام الأجنبي

أبتسم الحج "عزازي".. وهو يشير إلى "حلو" بالإقتراب قائلًا

- أفلام أجنبي مين يا عم وبتاع مين؟!! تعالى ننزل عشان تشوف اللي حتى مستحيل يتخيلوه في الأفلام الأجنبي.. تعالى يالا بينا

تقدم "حلو" في بطئ من الجدار المنقسم في خطوات حذرة.. بينما سبقه الحج "عزازي" إلى الدرج الهابط نزولًا.. وعلى الفور لحق به "حلو"

كان الدرج مختلفًا هذه المرة.. كان حجم الدرج كبيرًا.. وكانت النقوش والحروف العربية العثمانية تُزين جدران الدرج.. كان يراها

بالكاد نتيجة الضوء الصادر من المصباح الذي يحمله الحج "عزازي"

كانت المسافة هذه المرة أطول من سابقتها في الدرج المؤدي إلى الطابق السفلي.. كانت تبدو هذه المسافة اكثر من ضعف سابقتها.. حتى أن "حلو" بدأ يشعر بالقلق.. ولكن قلقه لم يدم طويلًا.. حيث انتهت بهم الدرجات إلى نهاية الطريق

باب غرفة خشبي كبير

يحمل نقوشًا وكتابات متداخلة.. حاول "حلو" ان ينظر إليها عبر الضوء المنبعث من المصباح اليدوي.. وتسمر ذهولًا

كانت النقوش والكتابات متداخلة بحرفية وفن عظيمين.. ولم تكن تلك هي سبب دهشة "حلو" فقط.. بل كان سبب دهشته الاساسي يكمن في أن تلك الكتابات كانت خليطًا ممتزجًا من حروف عربية ولاتينية ونقوش فرعونية.. كانت لوحةً متكاملة الإبداع من عدد كبير من الحروف التاريخية.. كانت تبدو وكأنها لغة ما.. جمل معينة.. كلمات منسقة منتقاة بعناية.. ولكنه لم يكن يفهم معناها

قطع تركيزه في النقوش يد الحج "عزازي" التي ادارت مزلاج الباب الخشبي العملاق.. ودفعته في رفق.. تحرك معها الباب مستجيبًا محدثًا صريرًا معدنيًا قويًا تردد صداه عدة مرات في

ذلك المهبط حتى أن "حلو" شعر بالخوف للحظات من الصوت الذي يعود من وراءه مرارًا وتكرارًا

كانت الغرفة مظلمة تمامًا.. دلف إليها الحج "عزازي" الذي بدأ جبينه يندى بقطرات عرق نتيجة المجهود الذي بذله في النزول إلى هذا المكان.. تحرك في ضوء المصباح الخافت.. ليضغط زرًا على قاعدة خشبية تم تعليقها على الجدار.. يبدو انه قد أُعدّ حديثًا داخل الغرفة.. يتصل بمجموعة اسلاك خفيفة تزحف فوق الجدار وتتغلغل وتغيب في الاجزاء التي لا تظهر في الغرفة من شدة الظلام

وفور أن ضغط القابس حتى اضاءت الغرفة بشكل متتابع.. جعل الرؤية تتضح شيئًا فشيئًا.. حينها.. حينها فقط.. كانت دهشة "حلو" تعد الأكبر في حياته.. كان الذهول يملأ ملامحه وكيانه كما لم يملئها من قبل

كانت مساحة الغرفة كبيرة بشكل لا يصدق.. كانت مساحتها تتجاوز مساحة المتحف بالكامل في حد ذاته.. كانت ممتدة بشكل لا يصدق.. ولم يكن هذا هو السبب الوحيد لحالة الذهول التي اصابت "حلو".. بل أن تلك الحالة قد اصابته من عدد الكتب والمخطوطات والوثائق التى رأها.. إنها المرة الأولى في حياته التي يرى فيها هذا الكم من تلك المخطوطات والبرديات والكتب بإختلاف احجامها واشكالها مجتمعة في مكان واحد

تحرك "حلو" بلا شعور.. وتوجه نحو مجموعة من المخطوطات الملقاة على الأرض بلا مبالاة.. اقترب منها في هدوء.. انحنى

ببطىء مستندًا على ركبتيه.. امسكها وحملها في حذر شديد.. وازاح تلك الأتربة التي تغطيها عبر النفخ فوق المخطوطة بهدوء.. حتى بدأت ملامحها تتضح

إحدى وثائق العصر الروماني في مصر قبل ميلاد المسيح عليه السلام

ترقرقت عينا "حلو" بالدموع وهو يحمل بين يديه مخطوطة يعود تاريخها إلى اكثر من ألفي عام.. فأعاد وضعها في حرص شديد.. ثم وقف مرة أخرى

استدار ليطالع وجه الحج "عزازي" الذي يراقبه في صمت.. وعلى شفتيه ابتسامة اعجاب.. اعقبها بسؤال "حلو"

- شفت يا حلو احنا عندنا ايه؟؟؟

- شفت يا حج عزازي.. شفت ويا ريتني ما شفت.. انا مش قادر أمسك نفسي من الإنبهار.. ده كنز!! كنز بكل ما تحمله الكلمة من معاني.. الأوضة دي فيها ما لا يقدر بمال.. فيها تاريخ الأنسانية بالكامل يا حج.. فيها اللي يملأ خمسين متحف زي متحف دار الكتب.. لأ خمسين ايه؟؟ قول مية.. قول ألف

ابتسم الحج "عزازي" في حنان وهو يقول

- بالراحة يا ابني على نفسك.. انا عارف يا ابني.. عارف كل ده.. بس خلي بالك.. زي ما اتفقنا.. احنا محتاجين نتعامل مع الموضوع ده بهدوء شديد وسرية تامة في الوقت الحالي

هز "حلو" رأسه مُتفهمًا في نشاط.. وهو يتلفت حوله قائلًا

- يا لهوي.. يا لهووووي.. ياااا لهوي.. ايه كل ده؟؟؟ أنا مش عارف ابدأ منين ولا أعمل ايه؟؟!!!

قهقه الحج "عزازي" كالعادة وسعل أيضا كالعادة.. ثم قال

- إعمل اللي عاوز تعمله يا عم براحتك.. أنا بقى حسيبك تشوف شغلك هنا.. وأطلع أقعد في مكتبي.. اخلص شوية حاجات على كام مكالمة تليفون اشوف الحاجة في البيت عاوزة حاجة ولا لأ وأطمنها

نظر إليه "حلو" في دهشةٍ قائلًا

- حتسيبني لوحدي في جنينة الكتب دي يا حج عزازي؟؟؟ طب افرض حبيت أشرب ولا اخش التلاويت.. حأعمل ايه؟؟

ضحك الحج "عزازي" ثم قال

- بص.. خلينا نمشي على نظام كويس.. أنا كل ساعتين حأنزل اشقر عليك.. واجيبلك كوباية شاي معايا وازازة مية.. احنا لسة شاربين شاي.. الكوباية الجاية كمان ساعتين شغل.. وأهي الساعة داخلة على تمانية مساءً.. قصادك شغل لحد عشرة.. وأجيلك.. اتفقنا؟؟

- اتفقنا قوي يا راجل يا سُكرة.. انا كنت ناوي اقضي ساعتين شغل.. بس الكلام ده قبل ما اشوف ملعب الكتب ده.. أنا كنت فاكرها أوضة أربعة في خمسة زي أوضة نومي البيج كدة.. مكنتش عارف انها اد المنطقة اللي ساكن فيها كلها على بعض.. يا لهوي.. يا لهووووي.. يااااا لهوي

ضحك الحج "عزازي" مرة أخرى.. ثم قال

- طيب أنا حأقفل ورايا مدخل الأوضة من فوق.. الحيطة وباب الأوضة العلوية.. وحسيب باب الأوضة ده مفتوح.. أمان بس مش أكتر

اومأ "حلو" برأسه في تفهم قائلًا

- براحتك خالص يا حج عزازي.. أنا شخصيًا مش حتحرك من هنا غير أما ألِف شوية اشوف قد كام ألف كتاب ومخطوطة من اللي هنا وهنا وهناك.. وهناك كمان.. يا لهوي.. يا لهووووي.. ياااااا لهوي

ابتسم الحج "عزازي" وكاد يهم بالانصراف.. لولا ان استوقفه "حلو" بسؤال

- بس قولي يا حج عزازي.. انت نورت المكان كدة ازاي؟؟

شد الحج "عزازي" قامته وبدت علامات الفخر على وجهه وهو يقول

- بالجهود الذاتية يا حلو.. مكانش في كهربا واصلة.. وانا جبت شوية اسلاك على كام دواية على كام لمضة موفرة.. وبطاريتين عربية نقل.. وواحد صديق مهندس كهربا عملي محول.. واتصرفت بقى

ابتسم "حلو" وهو ينظر إلى الحج "عزازي" ثم قال

- عفريت انت يا حج.. والله عفريت.. ده شغل موالد بالصلاة على النبي

قهقه الحج "عزازي" وحاول أن لا يسعل ولكنه فشل.. ثم قال

- الجيش قالك اتصرف.. وانا اتصرفت.. المهم.. حسيبك بقى لشغلك.. ومعادنا كمان ساعتين.. عاوز حاجة دلوقتي يا ابني؟

نظر "حلو" حوله في تشتت تام.. وقال للحج "عزازي" بدون أن ينظر اليه

- انا عاوز حد يقولي ابتدي منين ولا منين ولا منين.. انا حتجنن من الحلاوة.. يا لهوي.. يا لهووووي.. يااااااا لهوي

ابتسم الحج "عزازي" في سعادة.. ثم التفت وهو يتخذ طريقه للصعود قائلًا منبهًا

- معادنا كمان ساعتين.. سلام

وقف "حلو" دون أن يلتفت.. وهو يتطلع إلى مكان بعيد يظهر فيه تلٌ من الكتب المتراكمة.. وقال محدثًا نفسه

- ايوة.. أنا ابتدي من عند الجبل اللي هناك ده.. اكيد في بلاوي هناك.. يا ترى كتب إيه و الا مخطوطات إيه اللي هناك دي؟ قلبي حيقف.. مش مصدق نفسي.. دا انا حبات هنا.. مش حتحرك من هنا.. مش مروّح.. يا لهوي.. يا لهوووووووي.. يااااا لهوي

وبدأ في التحرك نحو زاوية الكتب التي حددها.. وقلبه يرقص طربًا.. وعقله ينبئه أن هذه التجربة ستكون الأروع في حياته

*****

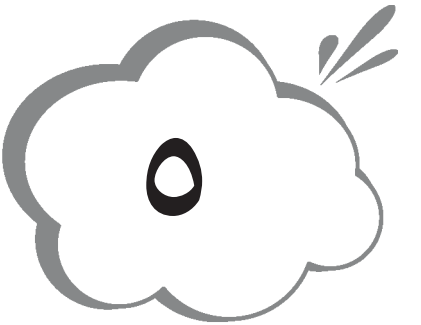

أشارت عقارب الساعة إلى التاسعة والثلث مساءً.. بينما جلس الحج "عزازي" فوق مكتبه وهو يُطالع بعض السجلات الأرشيفية بإهتمام

كان الحج "عزازي" بالفعل رجلًا يعشق عمله للغاية.. ويقضي وقته بالكامل في محاولة التطوير والإهتمام بالكنوز المُحيطة بالمكان.. والمُكدّسة في كل ركن من أركان هذا الصرح التاريخي العظيم

لم يقطع انتباهه الشديد إلى السجلات.. الا صوت هاتفه المحمول وهو يرن فجأة.. مما جعله ينتفض مذعورًا مثل كل مرةٍ يرن فيها الهاتف وهو يعمل في هذا المكان وسط الهدوء

لم يعتد أبدًا صوت الهاتف المفاجئ.. رغم حمله له لسنوات قليلة.. الا انه كمعظم كبار السن.. كانت تعاملاته مع المحمول محدودة للغاية.. لم يذب أو ينكسر أبدًا ذلك الجدار الجليدي بينه وبين التكنولوجيا المتطورة.. إلا في أضيق الحدود

استعاد الحج عزازي سيطرته على نفسه في لحظات.. ثم إلتقط الهاتف الذي كان يرن كالمسعور بلا توقف.. ونظر إلى شاشته في ضجر وغضب وفي رأسه شياطين الدنيا تخبره أن يحطم هذا الهاتف المزعج اللعين.. ليُطالع اسم "أم سلمى".. فيزفر في ضجر.. ويضغط زر إجابة الإتصال

- الو.. ايوة يا حجة.. ايوة خير؟؟ حكون فين يعني؟؟ في الشغل يا حجة

ثم بدأت قسمات وجهه في التغير بصورة مفاجأة.. وهو ينصت بأهتمام ثم يقول في صوت مضطرب..

- ليه كدة يا ام سلمى؟؟ مالك؟؟؟ تعبانة حاسة بإيه طيب؟؟ طيب طيب.. انا جي حالًا.. مسافة السكة

أنهى الحج "عزازي" الإتصال في سرعة.. ونهض من مكانه في بطئ فرضته عليه آلام الخشونة في مفاصل ركبتيه.. ثم أسرع في إغلاق السجل وإعادته إلى مكانه في نظام خلفته سنوات طوال من العمل.. والتقف هاتفه المحمول ودسه في جيبه.. ثم توجه نحو الباب في سرعة.. أخرج مفاتيح باب المكتب من جيبه.. ثم توقف فجأة وتحدث مخاطبًا نفسه

- يا ربي!! كنت حا أنسى حلو!!! يا ستّار.. اعمل ايه دلوقتي؟؟!!

بدأ عقله يفكر للحظات يشوبها التوتر والتردد الشديدين ثم ما لبث ان اتخذ قراره وهو يغلق الباب في سرعة محدثًا نفسه من جديد بلهجة إقناع

- هي ساعة واحدة.. حاروح اطمن على الحجة.. واكلم البنات يجوا يشوفها مالها.. وارجعله هوا.. مش حتأخر ان شاء الله.. استر يا رب

تحرك نحو الباب الأمامي في خطوات مسرعة وهو يُحوقل ويُسمل ويقرأ بعض الأدعية.. وعبر بوابة المتحف الخارجية التي جلس على طرفيها حراس الأمن.. الحراس الذين وصلوا منذ ساعة لاستلام ورديتهم الليلية.. فباشروه بسؤال

- خير يا حج عزازي.. مالك؟؟ شكلك في حاجة!

- لا الله يكرمكم.. الحجة بس بعافية في البيت

- ألف ألف سلامة عليها يا حج.. ربنا يطمنك عليها.. مش عاوز أي حاجة طيب؟؟

- ربنا يخليكم يا رجالة.. دعواتكم

ثم أنصرف الحج "عزازي" في خطوات مسرعة متبوعًا بدعوات رجال الأمن وعلامات الأجهاد تظهر على وجهه من فرط بذل المجهود في الإسراع نحو منزله بالإضافة إلى توتر أعصابه وشعوره بالقلق البالغ.. ليطمأن على شريكة حياته

شـارع.. وراء شـارع.. وراء شـارع.. وهـو يمُـد الخُطى نحـو المنزل.. ورغم برودة الشتاء القارصة.. إلا أن قطرات العرق بدأت تظهـر كحبـات لؤلـؤ تعكـس أضـواء أعمـدة الإنارة عـلى جبينـه.. وبـدأت أبخـرة الشـتاء تتصاعـد مـن فمـه في مثـل هـذا الوقـت مـن الليـل بشـكل مُتسـارع.. دليـل عـلى انـه يبـذل مجهـودًا كبـيرًا..

كانت الشوارع شبه خالية

البرودة والشـتاء والليـل وموسم المدارس.. جعـل الجميع يقبع في منزله بلا أدنى مخاطرة بالخروج في مثل هـذا الطقس.. حـتى سـائقي سـيارت الأجـرة

خلـت الشـوارع مـن المـارة تقريبًـا.. إلا مـن البعـض القليـل هنـا وهنـاك

ومع الخطوات المُتسـارعة.. والمجهود الكبير الذي لم يعتده الحج "عـزازي".. بـدأت الصـور تبهـت مـن حـوله.. وبـدأت الأشـكال في التغير أمـام عينيه

حـاول أن يُحـرك يديـه إلى رأسـه.. حـتى يزيـل ذلك الدوار السـخيف.. ولكـن الدوار ازداد شـيئًا فشـيئًا في سرعة.. حـتى تمكـن مـن عقـله تمامًـا في لحظـات قصـيرة

تباطئت خطوات الحج "عـزازي".. وتثاقلـت حركتـه فجـأة.. لم يعـد يعـرف مـاذا يحـدث.. ولكـن انتباهـه الشـديد كان لتلـك الأضـواء التي بـدأت تخفـت وتتداخـل مـن حـوله.. ورأسـه التي لم يعـد يـدري مـاذا يحـل بهـا؟!!

امتدت يده تتشبث بالفراغ.. وتضرب الهواء محاولة الوصول إلى أي شيئ يمكن الأرتكاز عليه.. ولكنه فشل

وسقط مغشيًا عليه.. بلا حراك

*****

كانت عينا "حلو" تبرقان كما لم تبرقان من قبل.. كانت الابتسامة على وجهه تكاد تصل من الأذن إلى الأذن الأخرى.. وهو يردد بين الحين والأخر في سعادة جذلة

- يا لهوي.. يا لهوووووووي.. ياااا لهوي

كانت يداه تتفحصان في هدوء وعناية مجموعة من أروع الكنوز فوق كوكب الأرض

كتب من كل مكان في الدنيا

ما نجى من التتار في بغداد.. ما نجى من المحارق في أوروبا في العصور الوسطى.. مخطوطات فرعونية وقبطية تعود لأزمان سحيقة.. مخطوطات يونانية تاريخية

كانت أصابعه ترتعد من فرط الإثارة.. وهو يُخاطب نفسه في سعادة قائلًا

- كنز.. ده كنز.. اكيد ده كنز الملك سليمان.. ده اغلى من كل كنوز الأرض.. الورقة الواحدة من دول لا تقدر بثمن.. أنا لولا خايف على الورق كان جالي تبول لا ارادي من الفرحة

كان يتنقل بين تلال المخطوطات والكتب كالذي يتنقل بين بساتين الأزهار والفواكه

لم يعر الوقت أي انتباه

لم يلتفت إلى أن الساعة قد تجاوزت بالفعل الحادية عشر مساءً.. لم يلتفت إلى أن موعده الدوري مع الحج "عزازي" قد مر عليه ساعة كاملة وأن الرجل لم ينزل إليه كما اتفقا سويًا

ولكن.. لم يعد للوقت أي أهمية.. ولم يعد للأشخاص أي ذكر في هذه اللحظات.. ما يحيط به من كنوز جعله يفقد القدرة على تمييز كل الأوقات والوعود والإلتزامات.. حتى وعده الذي قطعه مع نفسه بالذهاب إلى زوجته "سعادة".. تناساه تمامًا أمام رغبته السعيدة في الارتواء مما يحيط به من واحات الكنوز المكتوبة والمخطوطة والمرسومة

واصل "حلو" التنقل لنصف ساعة أخرى.. وهو لا يشعر بأي ملل أو كد أو تعب.. السعادة تغمره من قمة رأسه إلى أخمص قدميه

تقدم هنا وهناك.. حتى وصل إلى مجموعة من الكتب المتراصة بعناية.. وفوق قمتها.. كان ذلك الكتاب..

المختلف

كتابٌ مختلفٌ.. كبيرٌ للغاية.. عدد أوراقه ضخم.. ولكن.. لم يكن ذلك فقط هو ما لفت إنتباه "حلو" إلى الكتاب وجذب نظره إليه

فقد استرعى انتباه "حلو" في تلك اللحظة حالة الكتاب التي كانت أفضل من كل الكتب الموجودة في القبو الكبير.. بل أن "حلو" قد لاحظ أن حالته تكاد تكون أفضل من الكتب الحديثة الطباعة.. وكأنه قد خرج لتوه من المطبعة حديثًا.. ولكن في شكل قديم عتيق.. بعنوان مكتوب بحروف مزركشة تعود إلى عصر الرسم العثماني

عقد "حلو" حاجبيه.. وإقترب من الكتاب وهو يقرأ اسمه في بطئ.. بصوت خرج منه وهو يحادث نفسه

- حواديت السعادة

إزداد حاجبي "حلو" انعقادًا.. وهو يفكر في هذا الأسم الغريب.. الأسم المكتوب باللغة العربية السليمة.. الذي توسط غلاف الكتاب وحيدًا.. والذي لا يشير إلى محتوى الكتاب على عكس ما هو متعارف عليه في الكتب القديمة وحقبة استخدام هذا النوع من أنواع الخطوط.. فقال "حلو" في تساؤل مخاطبًا نفسه

- إيه يعني مش فاهم؟؟ حواديت السعادة بتاعة إيه يعني؟؟ الواحد متعود يقرأ مثلا.. حواديت السعادة في تنضيف السجادة مثلًا.. حواديت السعادة في.. في.. بشربها سادة.. تصدق

تمشي.. ممكن برضه.. حواديت السعادة في كيفية إنتقاء العربيات اللادا.. حيبقى كتاب كاتبه واحد ميكانيكي يخبل.. إنما.. حواديت السعادة حاف كدة؟؟!! غريبة.. يمكن الكتاب ده بتاع ولاد الحج "عزازي" مثلًا؟!! استنى كدة.. حواديت السعادة في الدراسات الإجتماعية للإبتدائية.. كدة راحت على الأضواء وسلاح التلميذ والمعاصر.. بس ايه ده صحيح؟! الحج عزازي!!! يا لهوي!!! الراجل ده راح فين صحيح؟؟؟

نظر "حلو" في ساعته بسرعة فوجدها قد تجاوزت الحادية عشر مساءً ببضع دقائق.. ففكر للحظة.. ثم ما لبث أن قال محاولًا اقناع نفسه

- تلاقيه عارف إني ملهي هنا.. وقال يسيبني شوية زيادة كمان الِف واشوف البلاوي اللي حواليا دي كلها.. كلها شوية.. وحلاقيه نازل بكوباية الشاي والمية بيعرج زي الكنغر اللي مخبوط في فخاده.. اكون أنا شوفت اللي في إيدي ده

إقترب "حلو" بوجهه اكثر فأكثر من الكتاب وهو يتفحصه في عناية.. وامتدت يداه لتمسك به في بطىء.. وترفعه من مكانه في حرص

سار به وهو يحمله عدة خطوات للوراء.. مسافة لم تتجاوز المترين وجلس مستندًا بظهره إلى إحدى تلال الكتب المجاورة.. إمتدت يده بتلقائية شديدة.. تمسح وتزيل غُبارًا لم يكن موجودًا في الأساس فوق جلدة الكتاب.. مما زاده حيرةً ودهشة

امتدت أنامله.. وفتحت الكتاب في هدوء شديد

ومع فتح الكتاب.. انفتحت أبواب الجحيم..

في منتهى العنف

*****

جلس الطبيب يخط بعض أنواع الأدوية على ورقة ومن حوله وقف أفراد أسرة الحج عزازي.. تتوسطهم زوجته الحجة "أم سلمى" التي احمرت عيناها وانفها دليل على بكائها منذ لحظات قليلة

وإلى جانبها وقفت ابنتاها وهما تحيطان كتفها بأذرعتهما.. ويربتان عليها في حنو.. بينما وقف زوجا ابنتي الحج عزازي وهما يراقبان الطبيب في أهتمام.. حتى فرغ من كتابة العديد والعديد من الأدوية.. ثم إلتفت إلى زوج سلمى قائلًا في لهجة آمرة

- الدواء ده لازم يجي بسرعة

- حاضر يا دكتور حالا.. حأنزل اجيبه حالًا

تدخلت الحجة أم سلمى متوجهة إلى الطبيب بسؤال واللوعة تظهر في نبراتها

- طمني يا دكتور والنبي.. الحج ماله

- بصراحة يا حجة الحج تعبان شوية.. وعنده الدنيا كلها متلخبطة جامد.. الضغط والسكر وحشين قوي.. انتوا ازاي سايبينه ده كله يا حجة؟!

- والله يا دكتور هوالي تاعبنا.. ولا بيسمع كلام حد.. ولا بيرضى يحافظ على نفسه.. ومن صباحية ربنا ينزل يروح الشغل ما يرجعش الا وش الفجر ويا دوب ساعتين تلاتة ويجري جري تاني على الشغل

- وده كلام برضه يا حجة؟؟ الحج كبير في السن.. ولازم يخللي باله على صحته.. اللي عنده ده شبه انهيار تام في وظايف الجسم.. ارهاق شديد جدًا جدًا.. ولازم يتنقل المستشفى.. مش اقل من اسبوع ما يتحركش من السرير.. وانا حعدي عليه كل يوم بليل وانا راجع من العيادة اطمن عليه بنفسي في المستشفى

إمتقع وجه إم سلمى بعد سماع كلمات الطبيب وقالت

- مستشفى؟؟ هو تعبان للدرجة دي يا دكتور؟!

ابتسم الطبيب وهو يحاول إضفاء أكبر قدرٍ ممكن من الهدوء على كلماته ونبرته وأسلوبه قائلًا

- يا حجة الحج عزازي كبير في السن، ومحتاج رعاية طبية كويسة عشان يقوم زي الفل ودي أهم حاجة

ترقرقت الدموع في عيني أم سلمى ثم قالت

- ربنا يكرمك يا دكتور.. احنا أهل وطول عمرك ابن حلال

- ما تقوليش كدة يا حجة.. شوفي.. انا مديله حقنة حتخليه نايم فترة كويسة.. وأنا حأبعت للمستشفي تجهز أوضة وتبعت عربية الإسعاف الليلة دي وننقله في هدوء قبل دوشة النهار

- ربنا يكرمك يا دكتور.. وما يحرمناش منك.. انت لولا اهتمامك ومساعدة ولاد الحلال اللي لحقوه في الشارع وجابوه على هنا من عنوان البطاقة كان الراجل راح مننا

ثم انخرطت الحجة أم سلمى في بكاء شديد.. واقبلت ابنتاها عليها لتضماها وتطمئناها في الوقت الذي استطرد فيه الطبيب قائلًا

- أهم حاجة الراحة و المتابعة ودي حاجات مش حيلاقيها غير من متخصصين في المستشفي يا حجة.. إن شاء الله يومين تلاتة ويفوق و إسبوع بالكتير ويخرج معاكم من المستشفي زي الفل.. أنا عاوزك تطمني ولما يخرج بالسلامة تخلي بالك عليه في فترة النقاهة

من بين دموعها اجابت الحجة أم سلمى قائلة

- حاضر يا دكتور.. محطه في عيني زي ما هو موجود طول عمره

ابتسم الطبيب ابتسامة ودٍ وأردف

- ومهم برضه إنتي كمان يا حجة تاخدي الدوا اللي كتبتهولك من شوية.. مش عاوزين موضوع التعب ده يتكرر تاني.. شوية فيتامينات كدة وانتي الحمد لله.. ضغطك كويس والسكر معقول.. بس نخللي بالنا بقى ده المهم

اومأت الحجة أم سلمى برأسها ايجابًا وهي تحاول التماسك قائلة

- حاضر.. حاضر يا دكتور.. بس المهم هو يبقى كويس.. انا مش مهمة.. هو اللي مهم.. ربنا ما يحرمناش منه ابدًا ولا من دخلته علينا

ثم عاودت البكاء مرة أخرى.. في حين تدخلت ابنتاها محاولتان الشد من أزر امهما.. مستعينتان بكلمات الطبيب ومستدلتان على كلماته التى تطلب الراحة لوالدهما

استأذن الطبيب للمغادرة مع وعده بالمرور على الحج عزازي في المستشفي مساء الغد للإطمئنان على حالته وتأكيده على أن سيارة الإسعاف سوف تكون متواجدة في خلال ساعتين على الأكثر لنقله

تسللت أم سلمى إلى حجرة الحج عزازي.. ووقفت لدى الباب.. وهى تنظر إليه في حب ولهفة.. وتتمنى من كل قلبها أن يعود إلى وعيه ويملأ الدنيا بصوته وطلباته التى تملأ عليها حياتها

تطلعت إلى حيث يرقد على فراشه.. وهو غائب في غيبوبة عميقة

وعالم أخر.. لا يعلم أحد متى سيعود منه

*****

أضواء ملونة ساطعة...

تتلألأ

أنارت كل ركن من أركان القبو الواسع...

أضواء أحالت ظلام أركان القبو إلى نهار.. أصوات متداخلة من كل صوب تدور في أرجاء المكان..

بينما جلس "حلو" وهو يرتعد ممسكًا بالكتاب وكأنه يحتمي به.. وعلى وجهه علامات فزع رهيب ولا يدري ماذا يحدث من حوله

مر ما يقارب الدقيقتين والأضواء ترتفع وتنخفض وألوانها تتداخل وكأن قوس قزح قد أنفجر في المكان.. والأصوات تعلو وتنخفض وهى تتحدث بكلمات حملت كل لهجات الأرض.. ولكن "حلو" لم يستطع أن يميز منها جملة واحدة من شدة تداخلها

وبدأت الأضواء تخفت تدريجيًا

وبدأ الوضع يعود إلى سابقه.. لتحتل الإضاءة البسيطة مكانها من جديد.. وتعود أركان القبو إلى قلب الظلام مرة أخرى

نظر "حلو" حوله في فزع.. وفرائصه ترتعد في عنف.. شعر أن دقات قلبه تكاد تحطم عظام قفصه الصدري لتقفز هاربة إلى مكان آمن.. بينما لا يكاد يقوى على أن يحرك قدميه لينهض من جديد

مرت دقيقة أخرى.. استعاد فيها "حلو" سيطرته على انفعالاته.. بينما لا تزال حالة الفزع تملك أطرافه.. قاوم بصعوبة.. ونهض من مكانه.. وهو يدور حول نفسه في ترقب.. و ذراعاه ما زالتا تحيطان بالكتاب و تحتضناه وعيناه تتطلعان إلى الأركان

المظلمة.. والهواجس المخيفة تتقافز إلى عقله بلا رحمة.. وتحدث إلى نفسه بصوت مسموع قائلًا

- يا مراري.. يا نصيبتي.. يا نايبتي.. يا بلوتي.. استر يا رب.. بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء.. استر يا رب.. طبعًا حتطلعلي سحلية حولة عملاقة من الركن الضلمة اللي هناك ده وحتطلب مني ارقص بلدي يا أما تتكاثر معايا بالانقسام.. وأكيد من الركن التاني ده.. حيطلع عفريت بعين واحدة وحيطلب مني احطله قطرة بريزولين فيها وحيبهدلني لاني معايش البريزولين.. اه ياني يا أما.. يا ترى حيحصل ايه يا أما.. معايش بريزولين يا أما

لم يكد "حلو" ينتهي من كلماته وتساؤلاته.. حتى جائته الإجابة من بين ذراعيه تمامًا

- حيحصل ايه يعني؟؟؟ كل خير يا حلو

انتفض "حلو" انتفاضة كادت تنخلع معها رقبته عن جذعه.. وارتد مبتعدًا قاذفًا الكتاب من بين يديه قبل حتى أن يحاول النظر إليه وهو يطلق صرخة جذعة رفيعة.. وما أن ابتعد عدة خطوات واختبىء خلف تل كتب مجاور.. حتى اطلّ برأسه ليرى من أين صدر هذا الصوت.. فلربما يكون الحج عزازي

وحينها.. لم يجد أي شخص في الجوار.. مما زاده رُعبًا.. وبدأت قسمات وجهه في التحول إلى البكاء من شدة الرعب

ظـل "حلـو" يحـدق في المـكان في فـزع ثم قـال في صـوت مرتجـف

- سلامووو عليكووووو.. أيووة.. مين اللي هنا يا جماعة؟؟

خرج الصوت رصينًا من قلب الكتاب قائلًا

- أنا يا حلو.. أنا كتاب الحواديت

حملـق "حلـو" في اتجـاه الكتـاب فاغـرًا فـاه في عـدم فهـم.. وبـدأت قدمـاه في الارتعـاد مجـددًا وهـو يقـول في نـبرة رعـب

- كتـاب إيـه يا جماعة؟؟؟ يا جماعة ارجـوكم بـلاش الهـزار ده لـو سمحتم.. يا حج عـزاااازي بـلاااش سخافة.. حـا اشـتم على فكـرة

عاود الصوت الصادر من الكتاب التحدث مرة أخرى قائلًا

- حتشـتم ليـه بقى؟؟ مـش انـت الـلي فتحـت الكتـاب؟؟ خايـف مـن إيـه؟ ده أنا مجـرد كتـاب ورق

ازدرد "حلـو" لعابة وهـو يحـدق في موضع الكتـاب وقـد تأكـد أن الصـوت صـادرٌ بالفعـل مـن ناحيتـه.. وبـدأت مشـاعر الفـزع تمـلك منـه أكـثر وأكـثر فقـال

- انـت إيـه بقى بالصلاة على النبي كدة؟؟ انس ولا جـن؟؟ لـو إنـس يبقـى أأمـر.. وقـول عـاوز إيـه عشـان أنا عـلى الترتوفـة وحغـرق الدنيـا بيبـي.. ولـو جـن.. قـول برضـه عشـان أغـرق الدنيـا بيبـي علطـول مـن غير مـا تعمـل حاجـة

صدرت ضحكة جوفاء من قلب الكتاب المفتوح المُلقى على الأرض.. وخرج منه الصوت مُخاطبًا "حلو"

- جن مين يا ابني؟؟ أنت بتصدق في الكلام ده برضه؟؟ ما عفريت الا بني أدم يا حلو

بدت بعض علامات الارتياح على وجه "حلو" الذي استعاد صوته بعض من ثباته.. وان كانت نبرته ما زالت تحمل كثيرًا من الخوف وهو يقول

- طب طالما انت إنس الحمد لله.. جيت هنا ازاي؟؟ وعاوز إيه؟؟ إنت فين بقى؟ متداري فين لو سمحت؟ انت بعتك الحج عزازي طيب؟؟ وايه اللي مخبيك ورا الكتب كدة يا استاذ.. عيب يا استاذ الحركات دي.. اظهر.. دي مش لعبة يا استاذ.

علت الضحكة الصادرة من قلب الكتاب ثم صدر الصوت مرة أخرى ليخاطب "حلو" قائلًا

- لا.. اطمن.. انا بقإلى اكتر من الف سنة عايش كدة.. وما تخافش على الكتب.. أنا اخاف عليها اكتر منك

اتسعت عينا "حلو" في خوف.. وهو يُردد

- ألف سنة.. هي ليلة سوخة من الأول ومش فايتة.. انت حتهزر يا عم انت ولا ايه الموضوع؟ اتفضل بالذوق اظهر كدة وكلمني.. لو الحج عزازي باعتك تهرج.. والنبي أنا مش ناقص..

انا ركبي أساسًا مش شايلاني.. اظهر كدة وقولي دخلت هنا ازاي

صدر الصوت من قلب الكتاب مرة أخرى في هدوء قائلًا

- انا ما دخلتش يا ابني

- احنا حنهرج يا حج.. انا لفيت البدروم كله بقالي تلات ساعات بلف ومكنش فيه بني أدم.. والحج عزازي مأكدلي ان مفيش حد دخل هنا غيري

- يا ابني.. انا ما دخلتش.. انا جوة أصلًا.. ما بخرجش

- وبعدين بقى في الشبكة السودة دي.. احنا حنهزر يا عم انت؟ هو إيه اللي ما دخلتش.. وما بتخرجش.. جوة فين؟؟؟

تحدث الكتاب قائلًا

- أنا الكتاب اللي انت كنت لسة ماسكه في حضنك ده وشايله زي ابنك من شوية

نظر "حلو" إلى الكتاب لحظة.. ثم قال

- وبعدين بقى في الليلة الكوبية دي؟ كتاب ايه اللي انت جواه يا سيدي؟ هو أنا ناقص؟؟

وفجأة.. ارتفع الكتاب المفتوح عن الأرض.. وطار في الهوار مارًا من فوق رأس "حلو" الذي تابعه وهو متحجر في مكانه.. ورأه يعبر من فوق رأسه ويستقر فوق تل أخر من الكتب.

انفغر فاه "حلو" مرة أخرى.. ثم بدأت ملامح وجهه في التغير إلى الرعب حتى كاد يبكي.. وهو يقول بنبرة رعب اقرب إلى البكاء

- ينفع كدة؟؟ تضحك عليا وتقولي إنس.. وما عفريت الا بني أدم.. وتشتغلني.. مين حيغيرلي هدومي دلوقتي؟؟ عارف كمية الميه دي زمانها بوظت كام مخطوطة أثرية في الأرض؟

صدرت ضحكة بسيطة من داخل قلب الكتاب ثم قال

- أنا يا ابني بيسموني كتاب الاحلام.. وبيدلعوني يقولولي يا "حليمو"

- حليمة؟؟؟ حليمة مين؟ عاوز مني ايه يا حليمة؟؟

- يا ابني بقولك حليمو.. مش حليمة!!

- حليمو.. حليمة.. قولي عاوز مني ايه لان كدة حيجيلي برد من الميه اللي مبهدلاني دي

تحدث الكتاب مرة أخرى قائلًا

- انا مش عاوز حاجة يا ابني.. انت اللي عاوز

- لا وربنا ما عاوز حاجة.. الغيار حاتصرف فيه.. مش عاوز حد يغيرلي ربنا يخليك ويكرمك

- هو انت مش فتحت الكتاب؟؟

- كتاب ايه يا عم انت؟؟

- حواديت السعادة يا حلو؟!!

- اه فتحته.. هو عيب؟؟؟ ما انا فتحت زلّوخ كتاب قبل كدة.. وما حصلش حاجة.. ايه الجديد في ده؟ ارحم اعصاب امي

قال الكتاب مُخاطبًا "حلو"

- انا ححكيلك يا ابني

رد عليه حلو قائلًا

- اتفضل احكي يا عم الحج اما نشوف اخرتها.. كلي اذان صاغية ومياه جارية كمان.. البرد حيبهدلني

صدرت ضحكة قصيرة عن الكتاب.. ثم بدأ في سرد قصته

- انا يا ابني موجود من أيام ملهاش عدد.. وشغلتي إني أتابع الحواديت اللي حصلت في كل العصور وانقلها للناس بعد كدة عشان نخللي جواهم الأمل ونصحيه كل فترة.. كل الحواديت.. وكل حدوتة منهم تبتدي تموت كل كام قرن.. انزل بيها على تفكير بني ادم في اي مكان في الأرض.. اخليه يفكر فيها.. ويألفها.. وينشرها.. وتتعاد تاني الحدوتة.. مرة ورا مرة ورا مرة.. من الأخر.. انا شغلتي اني احافظ على الحواديت واستمراريتها

نظر "حلو" إلى الكتاب للحظات.. وهو يستمع إلى ما يتلوه عليه.. ثم قلب شفتيه وقال له

- مؤثر قوي الكلام ده.. المفروض بقى أنا الريالة تغرقني من فوق.. زي ما البيبي مغرقني كدة من تحت.. وتبقى دي حدوتة "حلو المبلول وحليمو المخبول".. مش كدة؟؟؟

ضحك الكتاب مرة أخرى.. وهو يقول لـ "حلو"

- طيب يا ابني.. قولي تحب اثبتلك صدق كلامي ازاي؟؟

ارتفعت اصابع "حلو" وهى تداعب رأسه وتحكها.. وعيناه تنظران إلى الفراغ مفكرًا.. ثم قال

- والله يا عم حليمو.. الموضوع مش محتاج اثبات.. الموضوع محتاج قميص خلف خلاف في حالتك دي

- يا ابني جرب.. قولي بس.. اسأل.. انت خسران حاجة؟

- يا عم انت اسأل على ايه؟؟ أنا مش فاهم حاجة.. اسأل على اييييه؟؟؟ لا حول ولا قوة الا بالله.. اسألك عن حدوتة "سنووايت" مثلا؟؟؟؟؟؟؟

- قبل الطلاق ولا بعد الطلاق؟؟

- طلاق؟؟؟ احنا حنهرج يا جدع انت؟؟؟ بقولك "سنووايت"

- أيوة يا ابني.. عارفها.. الأميرة والاقزام السبعة.. ما هي بعد ما اتجوزت الأمير بكذا شهر.. اتطلقت واتجوزت القزم الصغير

- الله يخرب بيت عيشتك كتاب.. دا انت أول كتاب يكون ضارب كمية برشام متنوع عامل دماغ حبر زبالة.. سنووايت ايه اللي اتطلقت؟؟؟ الكلام ده مش موجود في الحواديت يا كتاب الطبخ انت.. انت شكلك مش عارف حاجة

- يا ابني انا زي ما قلتلك.. اللي بأنقله للناس هو الجزء اللي بيخلي جواهم الأمل.. ما ينفعش مثلًا احكيلهم ان الأمير اكتشف

ان "سنووايت" كانت على علاقة غير شرعية بالقزم الصغير.. دي تفاصيل تعمل مشاكل في الحدوتة

- سنووايت؟؟ علاقة غير شرعية مع القزم؟؟؟ ألطم؟؟؟ ايه الحكاية القذرة دي إلهي تولع سنووايت و القزم في ساعة واحدة!!!!

- البيوت ياما بتداري يا حلو يا ابني

- لا يا شيخ.. والمفروض أنا بقى اصدق الكلام الفاضي ده؟؟

- يا ابني وانا حضحك عليك أو اغشك ليه بس؟؟؟

- ممم.. طيب.. سندريلا مثلا؟؟

- اشمعنى؟؟

- انت حتخشلي قافية؟ انت كتاب نكت و لا ايه؟!!

- يا ابني انا قلتلك اسأل وأنا اجاوبك

- في مشاكل في حكاية سندريلا؟؟؟

- مفيش بيت مفيهوش مشاكل يا حلو

- يا عم فكك من جو برنامج "حياتي" ده.. انت جي تهرج؟؟؟

- يا ابني سندريلا بعد ما اتجوزت الأمير.. طمعت في كل فلوسه لانها كانت طول عمرها فقيرة.. ومع مرور الوقت.. خلته

يتنازل لها عن كل ما يملك ومضته على كمبيالات وشغلانة.. وطردته في الشارع في نصاص الليالي

- كمبيالات؟ دي سندريلا؟؟؟ اومال لو كانت فضة المعداوي كانت عملت فيه ايه؟؟؟ مممم.. لا بس حلوة اللعبة دي.. خيالك واسع يا جدع انت.. الصنف اللي بتسفه ده عالي عالي عالي

- انت لسة مش مصدقني يا حلو؟؟؟

- ما علينا.. احكيلي عن.. عن.. طرزان

- الغوريلا جاعت ونهشته واتوفي في الدمرداش

- اخبار سودة ما شاء الله.. طيب.. عقلة الأصبع؟

- الواد كان بيلعب بالعجلة وابوه ما أخدش باله وهو راجع من الشغل قام هارسه بالجزمة

- ما شاء الله.. لا.. نهايات مبشرة كلها.. اومال بس عمالين تقولوا عاشوا في تبات ونبات وخلفوا صبيان وبنات.. دي نهايات كلها محتاجة طبيب شرعي للكشف على الجثث!! وبعدها احتفال نهائي في مشرحة

- يا ابني انا فهّمتك.. الحواديت دي أمل.. لازم تدي الناس أمل.. ولا كل حاجة من حواليهم يملأها اليأس.

- أيوة بس كدة الحواديت دي كلها كذب في كذب.. يعني مثلًا لو حكيت للناس ان الذئب أكل ذات الرداء الأحمر في نهاية

القصة.. مش الصياد اللي موته.. حتكون حكاية سليمة والناس ممكن تتعلم منها برضه

- هو ما اكلهاش.. هي اخدت اربعين غرزة في وركها والصياد شغلها في مصنع سجاد يدوي بعد كدة لما باظت وبقت تعرج بدل الشحاتة بالمناديل في الاشارات

- ألطم يا ناس؟؟؟ اربعين غرزة؟؟ ومصنع سجاد يدوي؟؟؟ ذات الرداء الاحمر اخدت اربعين غرزة؟؟؟ هي اتفتح عليها مطوة في شارع الوحدة؟؟؟ ومصنع سجاد ايه وهباب ايه؟؟ هي كانت عايشة في كرداسة يا عم المجنون انت؟؟؟

- يا ابني ده اللي حصل.. بس الكلام ده سر

- لا والنبي ايه؟!! حامشي أنا اصلي زي الأهبل في الشوارع اقولهم ان سنووايت كانت مرافقة قزم.. او اركب الاوتوبيس واحكي للناس على سندريلا الواطية اللي ضحكت على البرنس وشفطت اللي وراه واللي قدامه.. انت عاوز تجنني يا عم انت؟؟؟!!

- هو ده الواقع يا حلو يا ابني

- ايوة يا عم حليمو ده واقع مهبب فعلًا.. بس اكيد يعني الحواديت بتبقى ليها حلاوة غير كدة خالص.. مش معقول كل الحواديت سودة في نهايتها بالشكل ده.. معقول؟؟؟ مفيش ولا حدوتة تكمل للأخر كويس؟؟

- لا فيه طبعًا.. ازاي بقى؟! طبعًا فيه

- ايوة كدة.. قولي.. حدوتة مين اللي خلصت على خير؟؟؟

- بنت جميلة كدة.. اسمها "أليس"

- أيوة أيوة عارفها دي.. "أليس في بلاد العجائب" عارفها.. مالها بقى.. احكيلي اخرة قصتها ايه جميل فيه؟؟

- اتعالجت من الفصام اللي كان عندها.. والوساوس اللي كانت بتشوفها والخيالات.. وبعد سنتين خرجت من المصحة زي الفل.. بس سحبت كهربا كتير قالولي

- تصدق بالله.. انت لولا انك شكلك كتاب مهم و أثري انا كنت استخدمت معاك اسلوب مش محترم.. "أليس".. سحبت كهربا يا كتاب يا فيشة انت؟؟ كل الحدوتة طلعت فصام وخزعبلات؟؟؟ روح إلهي يسد نفسك.. ودي بقى بالصلاة على النبي كدة النهاية الحلوة؟؟؟

- ما هي اتعالجت يا ابني وبقت زي الفل!!!!

- عالجوك بتوع التأمين الصحي يا بعيد.. قفلتني

- يا ابني انت فاكر ان الحواديت دي تأليف؟؟؟ دي حكايات ومواقف حصلت لناس فعلًا.. وأحنا بننقلها جيل بعد جيل بعد جيل.. مش اكتر.. نذوّقها.. ونحط فيها أمل.. عشان تقروها

- تحط فيها أمل؟؟؟ أمل تلاقيها اتجوزت دراكولا على مراته يا عم حليمو بعد اللي بتقوله ده

صدرت من داخل الكتاب ضحكة مجلجلة ترددت في أرجاء القبو.. ثم خاطب "حلو" قائلًا

- الله يحظك يا حلو يا ابني.. انت باين عليك ابن نكتة.. هما المصريين كلهم كدة.. بس انت باين عليك دمك خفيف بزيادة

- الله يكرمك يا عم حليمو.. بس نصيحة مني.. الحواديت دي.. انا شايف انها ضحك على دقون الناس.. معقول؟؟؟ معقول مفيش حدوتة واحدة توحد ربنا.. تبقى كويسة من أولها لأخرها؟؟؟ انا لو مكان اي بطل من ابطال الحواديت دي.. كنت حاربت عشان اكمل الحدوتة للاخر بشكل جميل وسعيد

صدر الصوت من داخل الكتاب بهدوء و بنبرة تدل على عدم الاقتناع بكلمات "حلو" وقال "حليمو"

- طب عيني في عينك كدة!!!!

- حنهرج؟ عين ايه اللي ابص فيها؟ كتاب بعيون؟ ايه شغل جرايد المخبرين ده؟

- اقصد اقولك.. انت مقتنع باللي بتقوله ده وانت شخصيًا عندك نفس المشكلة؟

اقتضب وجه "حلو" وتوترت ملامح وجهه حين تذكر مشاكله مع "سعادة" فاستطرد "حليمو" قائلًا

- يا ابني أنا عارف كل حاجة.. وعارف حكايتك.. انت وسعادة.. انا شغلتي زي ما قلتلك.. اشوف الحواديت.. وانقل السعيد منها للناس عشان الأمل.. وده بيخليني طول الوقت اتفرج على حواديت الناس.. في كل مكان وزمان

- ده اسمه شغل مصاطب يا عم حليمو.. انت كتاب شغال في أمن الدولة؟

صدرت قهقهة من داخل الكتاب بصوت مرتفع.. ثم عاود الكتاب مخاطبة "حلو" قائلًا

- عمومًا.. انت سايب حدوتك الخاصة.. وبتعيب في حواديت غيرك.. بدل ما تحاول تصلح الحدوتة اللي كانت سعيدة في أولها.. وابتدت تنتهي نفس نهايات الحواديت اللي عندي.. قولي بقى.. ايه الفرق بيني وبينك؟؟!! ها؟؟؟

صمت "حلو" فترة طويلة.. وهو يفكر في الكلمات الصادرة من قلب الكتاب.. انها كلمات صحيحة بالفعل.. لقد اصبحت قصته مشابهة لكل القصص المحيطة.. الواقع يفرض عليه ان يعيش قصة مكررة.. اين ذهب حبه لحبيبته "سعادة"؟؟ اين ذهبت الأشواق والمشاعر الملتهبة التي اشتعلت قبل الزواج؟ متى انطفأت؟ اين اختفت؟

تذكر أخر حوار دار بينهما.. واصابته غصة في حلقه شعر معها بمرارة شديدة

هل إلى هذا الوضع آلت الأمور بالفعل؟؟

هل ستستمر حياته مع "سعادة" في هذا الوضع الذي لم يكن ليتخيل أن تصل إليه الأمور؟؟

قطع حبل افكاره صوت "حليمو" الذي قال

- لسة في ايدك كل حاجة يا حلو.. انت يا ابني مع مراتك اللي ممكن تختاروا طريقة حياتكم.. ممكن تبقى زي الحواديت اللي في الكتب قبل الجواز.. وزيها برضه بعد الجواز.. وتبقى حدوتك مكررة.. وممكن تغير كل ده

نظر "حلو" إلى الكتاب في وجوم للحظات.. ثم قال

- أنا عمري ما اتمنيت أبدا غير أني اسعد سعادة يا عم حليمو

- عارف يا ابني.. بس الدنيا بتغير.. والظروف الجديدة بتخلي البني أدم احواله تتبدل.. ومع الوقت.. الواحد بينسى نفسه.. وينسى كان فين وبيحلم بإيه مع شريكة حياته.. ويبتدي يبعد.. ويبعد.. ويبعد.. لحد ما فجأة كل واحد يلاقي نفسه في أبعد نقطة عن التاني وصعب جدًا جدًا الرجوع والقرب مرة تانية

- كلامك للاسف صحيح يا عم حليمو

- يا ابني انا كتاب حواديت قديم قوي.. وشفت ياما.. بس اقولك على حاجة.. انت جواك حاجة مختلفة.. انت جواك حب كبير لسعادة.. والغريب ان الحب ده.. لسة موجود عندك بعد الجواز زي ما كان موجود قبل الجواز.. حب زي حب الحواديت اللي بنقلها

ابتسم "حلو" مع سماعه لتلك الكلمات.. وظهرت علامات الخجل على وجهه.. وهو يقول

- الله يكرمك يا عم حليمو.. بس للاسف الدنيا برضه تلاهي.. واحنا عندنا مشاكل طرأت على حياتنا مخليانا مش مركزين

- قصدك يعني على موضوع الخلفة؟؟؟

- ده انت فاضيلي بقى؟!!!

- يا ابني.. لو ركزت.. "حتعيشوا في تبات ونبات وحتخلفوا صبيان وبنات"

- لو ركزت ازاي يعني؟؟!!! لا لا لا لا.. أنا مش مقصر.. انا زي الفل الحمد لله.. وميت فل واربعتاشر.. أنا أسد

- يا ابني مش قصدي كدة.. انا قصدي انك تركز في حبها.. زي ما كنت بتحبها.. لازم ترجعلها احاسيس زمان.. احساس ما قبل الجواز.. انها مرغوبة.. انها محبوبة.. انك تكون كل اللي تتمناه هي.. انها تكون سعيدة بس.. وعلى فكرة بقى.. انا اقدر اساعدك

ظهرت علامات الاهتمام على وجه "حلو" وهو يقول في تساؤل

- تساعدني؟؟؟ تساعدني ازاي يا حليمو؟؟

صمت الصوت الصادر عن الكتاب لوهلة.. ثم اردف قائلًا

- شوف.. انت تقدر تقرأ القصص من قلب الكتاب.. وتشوف كل بطل من ابطال الحواديت.. وكل بطل من الابطال دول.. بيبقى ليه موهبة.. يقدر بيها يسعد اللي حواليه.. المهم تكون انت عارف انت عاوز ايه.. وأنا ممكن أساعدك في تفاصيل الحدوتة

توترت ملامح "حلو" في شدة وهو يفكر في أخر كلمات الكتاب العتيق

بالفعل؟؟؟ ماذا يريد؟؟؟ كيف يمكن أن يعيد لها الاحساس والشعور القديم مرة اخرى؟؟ كيف يمكنه أن يتخطى معها الحاجز الكبير الذي ارتفع بينهما مع مرور الأيام؟؟ خاصةً الأخيرة منها؟

لا بد من أن يتذكر الأيام الخوالي.. وكيف كان يُدخل إلى قلبها البهجة طوال الوقت

لا بد ان يستعيد رونقه من جديد.. ويقدم لها ما كان يقدمه على طول الخط

يقدم لها

- "السعادة"

نطق حلو بهذه الكلمة وهو ينظر إلى الفراغ.. في الوقت الذي تحركت فيه صفحات الكتاب بسرعة فور أن نطقها "حلو".. ثم ما لبث "حليمو" أن نطق قائلًا

- فعلًا.. انتوا يا ابني بتتشغلوا وسط هموم الحياة والالتزامات.. وكل واحد بيبتدي يؤدي دور تاني خالص غير الإهتمام بشريك حياته.. فجأة بتلاقي نفسك بتبعد وتبعد وتبعد.. لحد ما بيجي عليك يوم وبتلاقي نفسك بتسأل.. مين الولية اللي معدية من الحمام للصالة دي؟؟ انت عندك حق.. السعادة حلوة مفيش كلام.. و أنا فتحتلك الكتاب على قسم السعادة.. ممكن

تفر في الحواديت و تشوف تقدر تستفيد منها ازاي.. السعادة حلوة.. حلوة مفيش كلام

- ايه شغل محمود عبدالعزيز في ابراهيم الابيض ده؟؟

ضحك "حليمو" ضحكة قصيرة ثم قال متابعًا

- السعادة حاجة مهمة.. طول عمري في الحواديت بدور عليها.. شوف.. خليني اقولك أنا أسهل.. اكتر واحد قدم السعادة للناس في دنيا الحواديت.. حبيبي.. ياما قضينا ايام حلوة زمان.. ياما اتفسحنا في عربيته.. و هو حاططني ورا في الشنطة.. بصراحة كان ابو الكرم كله.. وعمره ما كان بيعدي على بيت الا اما بيسعد أهله.. معطاء معطاء مش تهريج

- ده بتاع اللبن.. صح؟؟؟ غريب انت يا عم حليمو.. كان بيعدي على البيوت الصبح يصب اللبن في اكياس نايلون ويربطها وتقع منك في ارضية المطبخ.. وتنزل تلمه بسفنجة.. عارفه انا جو الشحاتين ده

- يا ابني بتاع لبن ايه بس وبتاع ايه؟.. بُص.. انت حتخرج للعالم الحقيقي دلوقتي.. تشوف مراتك.. وتسعدها.. انت يا حلو.. حتبقى تاااااجر السعاااادة

- احلف!!!.. معقول؟؟؟ ابوتريكة؟؟؟ الله عليك يا حبيب والديك

- يا ابني ارحمني وبطل كلام شوية.. انت حتخرج دلوقتي للعاااااالم الـ...

قاطعه "حلو" في سرعة..

- تقصد حتدخلني عالم الحواديت؟ ايوة ايوة.. زي ايمان الطوخي في مسلسل الأطفال بتاع زمان ده.. عارفه انا عارفه.. فاكره.. وحفضل اغني وأقول العقل زينة.. ترالم.. وسط السفينة.. ترالم

- يا ابني ايمان الطوخي ايه بس؟؟؟ لا.. حتخرج للعالم الطبيعي.. بشخصيتك الطبيعية اللي حتساعدك على تحقيق السعادة.. بس.. مش بنفس شكلك ده.. لازم تاخد شكل صاحب الحدوتة.. ولازم تقدم اللي في عقلك انت.. ولازم مراتك تقتنع باللي حتقدمه من غير ما تعرف انك حلو.. لازم تفهم منها سر السعادة من وجهة نظرها اللي انت بنفسك لسة قايل أنها ناقصاكم عشان تقدر تقدمولها بنفسك لما تخرج من هنا

توترت خلجات "حلو" وهو يستمع إلى كلمات "حليمو".. وبدأت دقات قلبه في الإسراع وهو يفكر.. كيف سيفعل كل هذا؟ في الوقت الذي أكمل فيه الكتاب كلماته

- تنتهي الحدوتة مع دقات منتصف الليل زي سندريلا بالظبط

- يعني حتلبسني فستان بمبى في موف؟؟؟ ألطم؟؟؟ حستهوى في البرد برة كدة!! الدنيا تلج يا ناس يا جبابرة.. بتمطر برة يا جدعاااان

ظهرت علامات الضجر في نبرات الصوت الصادرة من "حليمو" في قلب الكتاب وهو يقول في غضب

- بس بقى بلاش غلبة.. خليني اقول الجملة السحرية عشان تلحق تشوف شغلك

قاطعه "حلو" في سرعة مرة أخرى قائلًا

- كلمة سحرية؟؟؟ عارفها على فكرة.. "افتح يا سمسم" صح؟؟؟

- يا ابني بس شوية!! لا.. غلط.. مش افتح يا سمسم

- بس بس بس.. عرفتها التانية.. "الهابرا كدابرا" بتاعة هاري بوتر صح؟؟ شفتها في السينما من سنتين

كاد صوت "حليمو" ينفجر غضبًا وهو يقول بصوت مرتفع

- حلو.. لو نطقت كلمة تانية حاسخطك قرد

أشار "حلو" إلى الكتاب إشارة مفادها أنه سيصمت ولن يتحدث مرة أخرى

وفجأة.. بدأت الجدران ترتج من حول "حلو" و بدأت تلال الكتب في الإهتزاز.. بينما بدى الصوت جمهورًا صادرًا من قلب الكتاب وهو يرج المكان

- كل وقت.. وله حدوتة.. بس المهم.. تكون مظبوطة

وعلى الفور.. بدأت الأضواء الملونة في الظهور من جديد.. وارتفعت الأصوات المتداخلة بكل اللغات الصادرة من العدم.. و

لكن هذه المرة.. وجد "حلو" جسده يذوب ويفني.. وتتجه ذراته إلى قلب الكتاب.. لم يشعر بأي ألم.. لم يشعر إلا بخمول طفيف.. وأخذ جسده رويدًا رويدًا يختفي مُتجهًا إلى داخل الكتاب.. وبعد مرور دقيقة واحدة.. عاد كل شيء إلى ما كان عليه من هدوء.. إلا شيء واحد فقط

لم يكن "حلو" موجودًا في القبو.. كان قد اختفي بالكامل في قلب صفحات الكتاب

*****

ألوانٌ وألوانٌ وألوانٌ...

هذا ما رآه "حلو" في اللحظات التالية.. كان يطير وسط كم هائل من الألوان المتداخلة.. تحيط به أصواتٌ وكلماتٌ بعدد لا حصر له من اللغات..

لم يعد يشعر بالزمان أوالمكان.. لم يعد يشعر بالاتجاهات أويستطع حتى أن يُحدد أي شيء خلال ذلك الوقت..

وفجأة.. إختفي كل ما يحيط به في لحظة واحدة..

ووجد نفسه واقفًا في ردهة منزل خشبيٍ ذو تصميم بسيط.. تحرك "حلو" في ترقب محاولًا التأكد من قدرته على السيطرة على تحركاته.. وفي أثناء محاولته التحرك.. لمح شيئًا ما يتحرك على الجدار الموازي له.. فارتجف في رعب وتراجع خطوات إلى الخلف في سرعة.. واستدار لينظر إلى ذلك الجسم المتحرك الذي تراجع معه في تزامن عجيب.

ولكن رعبه تحول إلى فزعٍ حقيقي.. ظهر واضحًا في شكل صرخة طويلة رفيعة صدرت من حلقه وهو يُطالع ذلك الكائن الضخم الذي ظهر أمامه والذي اتضح سريعًا أنه ليس سوى إنعكاسة صورته في المرآة

صاعقةٌ هوت على رأس "حلو" وهو يُطالع نفسه في المرآة من بعيد.. مما جعله يقترب منها في حذر.. مُحركًا أطرافه في حركات عشوائية.. فقط ليتأكد أن ذلك الجسد هو جسده بالفعل.. ثم ما لبث أن صرخ في لوعةٍ قائلًا

- الله يحرقك يا حليمو الكلب.. إيه ده؟؟ بابا نويل؟؟؟ ألطم على وشي؟؟؟ قصدي ألطم على كرشي؟؟؟ كل ده كرش؟؟؟ وإيه ده؟؟؟ يا مراري.. إيه الحَمار ده كله؟؟ كل ده أحمر؟؟؟ وأنا اللي كنت معترض على فستان سندريلا البمبى؟!!.. أديني لابس أحدث منتجات محلات "جويا" أهو.. إلهي وانت جاهي.. يوريني فيك يوم يا "حليمو".. أروح فين بالجوانتي ده؟؟؟ والزعبوط اللي على راسي ده؟؟ والجزمة فرو الخروف دي.. جوتشي دي؟.. اروح بيها فين الساعة دي؟؟؟؟ ده المطر حيبهدلها وحتشيل طين الشارع كله

ظل "حلو" ينظر إلى نفسه في المرآة فترة طويلة وهو ينظر إلى شكله الذي تغير تمامًا.. كرش ضخم.. مؤخرة كبيرة للغاية.. جسد مترهل.

لم يقطع نظراته إلى المرآة إلا دقات الساعة التي أشارت إلى الخامسة صباحًا مع إنبعاث أول شعاع للشمس في الأفق ظهر من نافذة المنزل.. مما جعله يقول في تلقائية.

- يا فتاح يا عليم يا رزاق يا كريم.. ايه ده؟؟ ايه اللي انا بقوله ده؟؟؟ بابا نويل ايه اللي حيقول يا فتاح يا عليم يا رزاق يا كريم...؟؟ ده بابا نويل ولا واقف على مكنة عجين الطعمية اللي على أول الشارع عندنا؟؟

بدأ "حلو" في البحث حوله.. عما يشير إلى مكانه.. ولكنه لم يستطع التعرف على هذا المكان أبدًا.

توجه إلى باب المنزل الخشبي.. وفتحه لتصطدم به برودة الجو القارصة.. ومساحة من الثلوج تمتد امتداد البصر.. وإلى جانب المنزل.. كان يقبع الشيء الأكثر غرابة الذي رآه في حياته.

عربة "بابا نويل" التي تجرها ست أزواج من حيوانات الرنة الثلجية.. وقد امتلئت مؤخرة العربة بعشرات وعشرات من الهدايا المغلّفة والألعاب الملونة.

فكر "حلو" للحظات.. ثم ما لبث أن استجمع شجاعته.. وأغلق باب المنزل مُتجهًا إلى العربة الخشبية الجميلة.. وركب فوق مقدمتها مُتخذًا مكان السائق.. قائلًا بصوت عال.. مخاطبًا الفراغ.

- طبعًا أنا مش عارف أنا بعمل ايه هنا؟.. بس أنا عاوز أروح مصر.. ودوني القاهرة.. كايرو معاك لو سمحت.. وبليز..

بـلاش محـور.. ولا دائـري بلـيز.. ولا أكتوبـر.. وشـغل العـداد.. وحراضيـك برضـه في الأخـر.

وكأن حيوانات الرنة الجميلة قد فهمت تمامًا ما يقوله "حلو" في شكله الجديد.. فبدأت في التحرك فورًا.. زاحفة فوق الثلوج.. وأخذت سرعتها تزداد شيئًا فشيئًا.. حتى وصلت إلى سرعة كبيرة بـدأت معهـا العربـة في الإرتفـاع.. والطـيران في الهـواء.. وهنـا بـدأ "حلو" يرتجف رعبًا مُحدثًا نفسه داخل عقله

"ايـوة.. صح كـدة.. بابا نويـل كان بيطير بالعربيـة.. ربنـا يسـتر ومايكونش مصيرها نفس مصير طيارات مصر للطيران.. أنا بقى لازم اسبُك الدور على حيوانات الرنة دي لتستفرد بيا وتمرمطني.. أيـوة.. بابا نويـل الحقيقي كان بيقـول ايـه في الحواديـت؟؟.. كان بيقـول ايـه ياض يا حلـو؟؟؟ ايـوة.. ايـوة افتكـرت"

تنحنح "حلو" استعدادًا للصيحة.. أخذ نفسًا عميقًا.. ثم قال بكل ثقة.. بصوت جهور

- يا خراااااااااااااابااااااااااااااي

وترددت صرخته مرارًا وتكرارًا.. وهو يبتعد في الأفق.. تاركًا صدى الصوت يكرر عباراته.. وأخذ يبتعد

ويبتعد

*****

كانت عقارب الساعة تشير إلى السابعة صباحًا.. في الوقت الذي انفتح فيه باب شقة "حلو" ودلفت من خلاله "سعادة" بوجه مبتسم بشوش

حاملةً في يدها ذات الحقيبة التي خرجت بها من خلاله منذ ليلتين مضيتا

لم تلبث أن وضعت الحقيبة بجانب الباب.. واغلقته وراءها في هدوء.. ثم اتجهت إلى غرفة النوم.. لتبحث عن "حلو".. ولكنها وقفت فجأة أمام باب الغرفة حين وجدتها خالية

استدارت "سعادة" بسرعة لتلقي نظرة على باب الحمام لتجده مفتوحًا كدليل على أن "حلو" ليس بالداخل

وقفت "سعادة" للحظات.. ثم قالت مخاطبةً نفسها في صوت منخفض

- نزل بدري ليه كدة؟؟ تلاقيه يا حبيبي ما فطرش ومعملش شاي.. وصحي نزل على طول على لحم بطنه.. اخص عليكي يا سعاااادة.. اخص عليكي.. يا حبيبي يا حلو.. أنا اسفة يا حبيبي.

وبدى على وجهها علامات ندم عميق ومحاسبة للنفس.. ثم اكملت في خفوت

- يا ترى قضى الليلة دي لوحده ازاي؟؟؟ دي الشقة زي ما سبتها بالظبط.. شكله ما دخلش المطبخ شرب كوباية مية حتى.. انتي وحشة يا سعادة.. انتي جزمة قديمة.

جلست على الكرسي المواجه للباب.. وظلت تفكر قليلًا.. ثم ما لبثت أن نهضت مرةً اخرى بعد برهة قصيرة وهي تقول

- أنا كمان ساعتين تلاتة كدة.. أكون خلصت شوية شغل في البيت.. وأنزل السوق بقى.. اشتري شوية حاجات.. وأعمله اكلة حلوة من الحاجات اللي بيحبها حبيبي.. اخص عليكي يا سعاااادة.. اخص عليكي

واتجهت إلى المطبخ وبدأت في عادتها اليومية بمطاردة بعض الحشرات الزاحفة التي دفعها قدرها الأسود للخروج في تلك اللحظة ظنًا منها أن البيت قد خلا من ساكنيه

ظلت تطاردها في تؤدة وهي تفكر.. كيف مضى ليلته الأولي بدونها؟؟!

ولكنها لم تعلم ابدًا أن ليلته السابقة كانت حافلة بكل أنواع الإثارة...

وأكثرها دهشة...

*****

ظهر نهر النيل مع ظهور أشعة الشمس التي بدأت اشعتها تنعكس على سطحه.. لتحول لون النهر إلى لون ذهبي...وتداعب عيون الطيور في السماء

وعينا "حلو" أيضًا.. الذي كانت العربة تسير به بسرعة رهيبة طوال ما يزيد عن ثلاث ساعات من الزمن في ذلك البرد القارص.. وعلى ذلك الإرتفاع الشاهق.. مما جعله يقول في إرهاق

- خلاص.. مترين كمان وحرجّع في شنطة العربية..كان لزمتها إيه أم المخمضة دي يا حليمو إلهى تهد.. مكانش ينفع تحدفني في حتة قريبة.. لازم رحلة السفر دي كلها؟؟ وشي تمّل من البرد والتلج.. مش حاسس بمناخيري خلاص.. حاسس اني بقيت عبارة عن زعبوط ونازل منه عينين.. ولا الدقن دي عامله حاجة.. متقلة وشي والسلام.

تباطئت سرعة العربة التي تجرها "الرنة".. وبدأت في الهبوط واقتربت من سطح الأرض في سرعة بينما بدأ "حلو" ينظر حوله قائلًا

- ايه ده؟؟ ايه ده؟؟؟ مش هنا يا جدعان.. دي رمسيس دي.. أنا ساكن في المعادي يا.. يا.. يا بهاااايم.. مش هنا

واصلت حيوانات الرنة الهبوط.. حتى استقرت على الأرض في قلب ميدان رمسيس في تمام الساعة التاسعة صباحًا

في وقت الجحيم..

"اتحرررررك يااااا بججججججم"

قالها أحد سائقي السيارات الملاكي.

"طول ما البلد فيها عربجية زيكم مش حنفلح ولا حنشوف خير ابدًا.. اتحرك يا حيوان"

قالها أحد سائقي الأجرة..

"خش عجلة يا برنس عشان لو العجلة إتحكت حانزل اعمل معاك السليمة"

صاح بها أحد سائقي السرفيس...

" إيه اللي انت لابسه ده يا راجل يا مُهزأ"

قالتها عجوز شمطاء مُسنة كانت تعبر الطريق مرتكزة على عصًا خشبية

"ما تيجي"

قالها أحد المخبولين المجاذيب الذين تبدوا على هيئتهم الجنون بشعر طويل ووجه متسخ وهو مرتكنٌ إلى أحد أسوار الميدان الحديدية..

وبين صرخات هذا وذاك.. وقف "حلو" فوق ظهر العربة منتصبًا لا يدري ماذا يفعل.. ثم قال مخاطبًا حيوانات الرنة

- عاجبكم كدة؟؟؟ انا قلت كدة؟؟؟ حسبي الله فيكم.. دا احنا حتى لو حبينا نتنيل نطير تاني مش حنعرف من الزحمة إلهى يوعدكم بدب قطبي يطلع مصارينكم في ايده.. أعمل ايه أنا الساعة دي؟؟؟ ده وقت انفجار ميدان رمسيس يا كفرة.. طب كنا نزلنا على الكورنيش.. لما انتوا ما بتعرفوش تحضّنوا؟ بتسوووقووا لبيبه؟؟!

بدأت أبواق السيارات ترتفع في إحتداد بينما "حلو" يحاول مخاطبة الجميع معتذرًا وهو في زي الإحتفال الرسمي ويحاول إمتصاص غضبهم بلا جدوى.. ولم يجد في النهاية مفرًا من الإمساك بلجام حيوانات الرنة.. ثم محاولة البدأ في تحريك العربة التي توسطت ميدان رمسيس وسط أبواق السيارات المعترضة بلا توقف

وبدأ في شد اللجام قائلًا

"ليك ليك ليك.. شيييييييي.. شيييييي الله يحرقكم.. شيييييي يا بهاااااااايم"

وبالفعل.. بدأت حيوانات الرنة في الاستجابة وجذب العربة والتحرك بها.. والابتعاد شيئًا فشيئًا عن قلب الميدان حيث شيعه المارة بفاصل من السباب واللعان طالت أبعد جذور عائلته.. فقال "حلو" لحيوانات الرنة

- عاجبكم قلة القيمة دي؟؟؟ ينفع كدة؟؟ كل الشتيمة دي بسببكم.. ولسة.. حنسمع قدها خمسين مرة واحنا رايحين لحد المعادي.. الله ينتقم منك يا حليمو.. إلهي تشوف الذل اللي أنا شوفته.. يوعدك بشوية عيال صغيرة تقطع صفحاتك و تعملها دبابير بفتلة من اللي لسة حشوفه.

وبدأ "حلو" في السير بالعربة.. متخذًا طريقه نحو المعادي.. وسط آلاف مؤلفة من السيارات التي امتلئت بها شوارع القاهرة

في هذا الوقت المزدحم من اليوم.. وبين الحين والأخر.. كان يطلق صيحته لضمان استمرار حيوانات الرنة في السير

- يا خراااااااااااااااااااابااااااااااااااااااااي

*****

قاربت الساعة على الواحدة ظهرًا.. في الوقت الذي ظهرت فيه عربة "حلو" التي تجرها حيوانات الرنة وهي في حالة يرثى لها من أثار الطين الذي ملأ الشوارع في هذا الوقت من العام نتيجة الأمطار الغزيرة

ظهرت العربة تسير وسط شوارع المعادي الهادئة وقد خلت مؤخرتها من الهدايا والألعاب التي كانت تمتلئ بها عن أخرها

كان "حلو" في حالة إنهاك.. ظهر من خلال نبرة صوته وهو يخاطب حيوانات الرنة للمرة الألف هذا اليوم

- سووووقووووا.. سووووقووووا.. عشان تحرموووووا.. فاكرين نفسكم في ستوكهلم منك له؟؟؟ سووووقووووا.. تستاهلوا اللي جرالكم.. حتى الهدايا.. العيال بتاعة المدارس اللي ناطة من فوق السور قلبتها.. الحمد لله انهم سابولي الزعبوط

وفي أثناء مروره.. واقترابه من المنزل شيئًا فشيئًا.. رأى ما جعل قلبه يرقص فرحًا.. رأى أمامه الإنسانة الوحيدة التي يريد رؤيتها الآن

"سعادة"

كانت تحمل عددًا من الأكياس المُمتلئة بالخضروات وهي في طريق عودتها إلى لمنزل

كانت أحمالها ثقيلة.. وتبدو على قسمات وجهها علامات المعاناة من الثقل.. ورغم علامات التعب على وجهها.. إلا ان "حلو" قد ذاب عشقًا فور رؤيتها.. مع تداخل الأفكار في رأسه وهو يتساءل.. هل عادت إلى المنزل؟؟ أم أنها في طريقها لمنزل والدتها القريب من منزلها؟؟ كيف تشعر الآن؟؟ ها هي تعود من السوق حاملة العديد من المشتريات التي تدل على انها سوف تعد وجبة كاملة.. بكل تأكيد هذه وليمة لأكثر من فرد.. على ما يبدو أنها ما زالت عند والدتها.. إنها دائما ما تحب أن تعد له السبانخ.. اللعنة.. انه يكره السبانخ بشدة.. ولكن.. لا يهم.. المهم الآن أنها أمام عينيه.. وها هي فرصته لمحاولة إصلاح ما افسدته الأيام بينهما وأفسده عدم اهتمامه بها

في ثوان معدودة كان "حلو" يشد لجام الرنة وهو يصيح في لهجة آمرة

- ييييييس.. ييييييس.. هووووووب

توقفت الحيوانات طواعية.. فقفز من داخل العربة التي اختفت ألوانها البراقة.. وأصبحت نسخة مكررة من كل عربات الكارو التي تجوب شوارع المدينة بلا رقيب أو حسيب.. واتجه في خطوات متثاقلة نحو "سعادة" محاولًا اللحاق بها وسط الشارع

الهادئ الخالي من المارة تمامًا كعادة معظم شوارع حي المعادي.. وحين اقترب منها قال لها في شاعرية بصوت "بابا نويل"

- اقدر اساعدك يا مدام؟؟؟

انتفضت "سعادة" وكأن صاعقة من السماء قد ضربتها حيث لم تشعر باقترابه مما أدى إلى سقوط بعض أكياس الخضروات من يدها وتبعثر محتوياتها مما دفع "حلو" إلى الانقضاض على محتويات الأكياس المبعثرة سريعًا مُنحنيًا جاثيًا على ركبتيه مُحاولًا انقاذ ما يمكن انقاذه وهو يقول

- يا دي السباخ.. قُطعت.. وقُطع سيريتها

بينما وقفت "سعادة" متحفزة وهي تراقب ذلك المُهرج ذو الرداء الأحمر الذي افترش الأرض بجسده المترهل ولحيته البيضاء التي شابتها علامات الإتساخ بفعل السير في الشوارع وسط الأتربة منذ الصباح.. وهو يعيد تعبئة ثمار الخضروات داخل الأكياس مرة أخرى وينهض ليمد لها يده بها وهو يعطيها أفضل ابتساماته ويقول

- الحمد لله.. لميتلك كل الحاجة.. بس افتكر السباخ حتترمي.. مش حتنفع.. ارميها أحسن

لم تنطق "سعادة" وهي تمد يدها في حذر لتأخذ منه أكياس الخضروات في توجس.. مما جعله يحاول كسر حالة السكون بقوله

- تحبي أوصلك بالحاجات دي لحد البيت؟ شكلها تقيل عليكي

هنـا فقـط.. تحولـت "سـعادة" إلى كائـن مفـترس.. تغـيرت ملامح وجهها وارتفع صوتها حتى كاد "حلو" يقسم ان هذا ليس صـوت زوجتـه وهي تـصرخ كالمجذوبـة في وجهـه

- بيـت إيـه يا راجـل يا واطي يا مُهـزأ الـلي عـاوز توصلـني ليـه؟ انـت فاكر عشـان واحـدة سـت ماشـية في الشـارع لوحـدي حتسـتفرد بيـا؟ لاااااا.. دا أنا حفـرج عليـك أمـة لا إله الا الله يا راجل يا مُهزأ... انتوا جنس ملتكم إيه؟؟ مفيش عندكم دم ولا حيا ابـدًا؟ ايـه السـفالة دي؟! يا شـاااايب يا عاااايـب

ومـع اسـتمرار "سـعادة" في وصـلة الـردح الـلا منتهيـة.. ظهـر النـاس مـن كل صـوب وحـدب وكأن الأرض قـد انشـقت عنهـم أو كأنهـم بزغـوا مـن الفـراغ.. وتحـول الشـارع الهـادىء إلى نقطـة جـذب كالمغناطيس لـكل مخلـوق حي في محيـط كيلومـتر مربـع.

حـاول "حلـو" إظهـار أداب الحـوار وإظهـار أي نـوع مـن أنـواع التحضر والرُقيّ.. ولكـن محاولاتـه جميعًـا ذهبـت أدراج الـرياح أمـام تجمهـر النـاس مـن حـوله وتداخلهـم في الحـوار بـكل الطـرق المشروعة والغير مشروعة

"ايه اللي انت لابسه ده يا حج؟ انت مجنون يا حج؟"

قالها أحد المتجمهرين

"في من اللبس ده رجالي يا اسطى؟"

قالها أخر...

"مش عيب عليك وانت راجل كبير وتعاكس واحدة اد بنتك وانت لابس اللبس ده؟ انت عارف احنا حنعمل فيك ايه دلوقتي ؟"

قالها ثالث..

"يخيبك يا دي الراجل.. شوفي يا بت يا فاتشن الراجل الشايب العايب لابس إيه وعامل في نفسه ايه؟ يا عيب الشوم على الرجاااالة"

قالتها امرأة عجوز إلى رفيقة طريقها المتشحة بالسواد.

ووسط ارتفاع همهمة المتجمهرين وسخطهم.. ظهر أخر ما يتمنى "حلو" ظهوره في هذا التوقيت.

ضابط شرطة...

شق جموع المتجمهرين.. وهو يصيح

- وسع يا جدع انت وهو.. إيه؟؟ في إيه؟؟

تطوع عشرات من المتجمهرين في وصف ما حدث بسرعة رهيبة...

"يا باشا كان ماسكها بيبوسها بالعافية وخلصناها من ايده المتوحش"

قالها شخص ما...

"يا باشا خطف شنطة فلوسها وحصلناه في الشارع هنا واخدنا منه الشنطة"

تطوع شاب ما لوصف تلك الفعلة البطولية...

"يا باشا ده ماشي وراها من الكورنيش لهنا بالعربية وعمال يكلكسلها عشان تركب معاه والست محترمة وفي الاخر نزل من العربية ومد ايده عليها وشدها من الجيبة"

قالها سايس يعمل في القرب من المكان.. وهنا انعقد حاجبي الضابط.. وهو ينظر إلى "حلو" الذي افقدته كمية الأكاذيب والخيالات قدرته على النطق وقال له بلهجة حادة

- يا سواد ليل ابوك.. بطاقتك فين ياض؟؟

امتدت يد "حلو" تتحسس ملابسه التي خلت من الجيوب تمامًا وهو يبحث عن الفراغ في إشارة منه أنه لا يحمل أي اثبات شخصية وعاود النظر إلى الضابط في ابتسامة بلهاء بلا كلمة واحدة.. وهو الأمر الذي استوعبه الضابط على الفور.. فقال في حدة..

- كمان مش شايل بطاقة؟؟؟ الله.. لأ بجد الله على الإبداع.. أنا مش عارف حأعمل فيك إيه بصراحة.

هنا بدأت علامات الفزع تظهر على وجه "حلو" وهو يقول للضابط

- سعادتك في سوء تفاهم.. الحكاية كلها وما فيها إني كنت عاوز اسـ...

قاطعه الضابط في عنف...

- انـت حتحكيـلي حواديـت؟؟؟ إخـرس.. دا انا حخـرب بيتـك.. مـاشي مـن غـير بطاقـة.. وكـمان متحـرش؟!

ثم إلتفت إلى "سـعادة" وهـو يتمالك نفسـه مُتحدثًا إليهـا بهـدوء قائلًا

- ممكن بطاقتك لو سمحتي اطلع عليها؟

اسـتجابت "سـعادة" بسرعـة إلى طلـب الضابـط واخرجـت بطاقتهـا الشـخصية التي نظـر إليهـا الضابـط سريعًـا.. ثم أعادهـا إليهـا وهـو يقـول

- معلـش.. حنتحتـاج نعمـل محـضر.. عشـان الحيـوان ده.. انا النقيـب "عمّـار محمـد" مـن قسـم المعـادي

توتر "حلو" وهو يستمع إلى "سعادة" وهي تقول...

- أه يا ريـت نعملـه محـضر يا باشـا.. وتحبسـوه.. كفايـة القـرف الـلي في الشـوارع.. إحنـا مـش ناقصـين قـرف بصراحـة

- اطمني حضرتك.. احنا حنعرفه شـغله.. حنحتـاج منـك بـس زيارة للقسـم عشـان نقفـل المحضر على السـاعة تسـعة بليـل.. مجرد امضاء بسـيط واحنا حنضبـط المحضر

اسـتدار الضابـط "عـمار" وسـط الجمـوع المحتشـدة و امتـدت يـده لتمسـك بتلابيـب ملابـس "حلـو" الحمـراء.. وهـو يقـول

- وكـمان لابـس أحمـر.. إيـه الحـلاوة دي؟ ايـه العظمـة الـلي انـت فيهـا دي؟؟ دا احنـا يومنـا زي الفـل ان شـاء الله.. دا انا حوريـك أيام

ارتعدت فرائص "حلو" وهو يسير إلى جانب الضابط ولا يقوى على الرفض وإلا نهشته الجموع المحيطة.. وما هي إلا خطوتان فقط وتذكر "حلو" العربة.. حيوانات الرنة.. وسيلة عودته.. توقف وهو يقول للضابط

- حضرتك بس.. ممكن بس العربية.. عشان ما ينفعش نسيبها مركونة هنا.

وأشار إلى العربة التي أحاط بها العديد من الناس وارتكنوا إليها وهم يتابعون المشهد منذ البداية.. مما دفع الضابط "عمار" إلى القول في دهشة

- وكمان كارو؟؟ الله.. الله.. تصدق بالله؟؟ انا ارتحتلك و قلبي اتفتحلك.. أنا حاسس ان اليوم انهاردة خلاص كدة.. مش محتاج حاجة تاني.. فين ياض رخص الكاروو؟؟

- رخص ايه حضرتك؟؟

- رخص الكارو ياض؟؟ ولا كمان مفيش رخص؟؟؟ والنبي تقول مفيش؟؟ وحياة أبوك ما يبقى ليها رخص يا شيخ

- لا حضرتك عشان الحلفان.. هي ملهاش رخص بصراحة.. يا رب تكون انبسطت

- الله عليك.. الله عليك يا حبيب والديك

- بس حضرتك دي مش كارو أصلًا!!

- أومال دي ايه ان شاء الله؟؟؟

- دي زلاجة سعادتك

- يا عيني؟؟ ياااا عيني.. تلاجة؟؟؟ وانت راكب التلاجة وماشي بيها في الشارع كدة؟؟؟ طب ده حتى الجو برد لوحده مش محتاج تلاجات.. مش خايف تستهوي يا حبيبي؟

- يا باشا بقولك زلاجة.. زلاااجة

انقلبت سحنة الضابط في عنف وهو يصرخ

- اخرس يا حيوان.. وكمان اتناشر حمار؟؟ اتناشر حمااار؟؟؟ في ايه بالظبط؟؟ انت سارق الحمير دي ياض؟

- يا فندم دي مش حمير والمصحف!!

- انت حتستعماني يا روح أمك؟ بتستهزأ بيا قصاد الناس؟ اومال دول ايه؟ زحالف؟

- يا فندم دول حيوانات رنة ثلجية.. مش حمير سعادتك

- اخرس بدل ما اهزقك.. انت راجل كبير ما تجيبش لنفسك الضرب قصاد الناس.. قال رنة قال.. اخرس بدل ما ارنك أنا قلم يفوقك من اللي انت فيه.. انت ضارب ايه بالظبط؟

- بص أنا حفهم سعادتك الحكاية.. بس بعيد عن الناس الله يكرمك.. ومفيش داعي للقسم ده خالص.. إلهي يستر عرضك

تحرك الضابط "عمار" وهو مُمسكًا بملابس "حلو" إلى جانب الطريق وظهرت على ملامحه علامات الاهتمام وهو يقول

- طب قول كدة.. فهمني وتعالى معايا دوغري

- بص حضرتك.. الموضوع بسيط.. أنا بابا نويل وكنت جي اشوف مدام سعادة عشان هي محتاجة السعادة.. والعربية دي أنا جاي بيها من القطب الشمالي وكان المفروض انزل بيها المعادي على طول بس للاسف نزلت بيها غلط في رمسيس.. تقريبًا شحنها خلص.. وقعدت ساعة أدور ملقتلهاش مدخل يو إس بي اشحنها منه سعادتك.. ومعايش حتى شاحن ولاعة عربية.. واتضـ...

قاطعه الضابط "عمار" في غضب هادر وصوته يكاد يسقط وريقات الشجر من فوق فروعها

- اخخخخخررررس.. انت بتستعبط يا روح أمك.. دا انا حانفخك.. ان ما لفتك محافظات مصر كلها.. ما ابقاش أنا عمار

وأشار في عنف إلى اثنان من العساكر المرافقين له.. قائلًا في عنف

- شوفولي الكارو دي فيها ايه؟؟ مخبي ايه الحيوان ده ومخليه عمّال يستعبط؟؟

اتجهت عساكر الشرطة في زيهم الأسود إلى العربة حاملين اسلحتهم.. وبدأوا في تفتيشها.. حتى انتهوا وقال أحدهم

- يا باشا مفيهاش غير شوية مسدسات.. وسواريخ بس

انقلبت سحنة الضابط "عمار" في عنف وهو ينظر إلى "حلو" قائلًا

- يا نهار ابوك اسود ومنيل بنيلة سودة؟؟! مسدسات وسواريخ؟؟! في وسط الشارع كدة عادى؟!!

- يا باشا ورب الكعبة دي لعب.. هدايا

- يا حلاوة يا ولاد.. مسدسات وسواريخ وماشي بيهم في الشارع عادي كدة؟؟

- يا باشا والمصحف تاني.. لعب.. لعب

- ودقنك دي؟؟؟ لعب برضه؟؟؟ انت اخوان ياض ولا سلفي؟؟ ولا قاعدة ولا حكايتك ايه؟!

- يا باشا أنا مسيحي أساسًا.. فيه بابا نويل سلفي؟!!

- انت إن شاء الله حتشوف معانا أيام زي الفل.. كدة خلاص.. قُضيت كدة انهاردة.. احنا بقى نرجع على القسم نقضي وقت لطيف مع بعض.. ونتسلى.. انا حاسس اني حاخد ترقية استثنائية بسببك والله.. نهارك اسود ان شاء الله

ثم صرخ في العساكر المرافقين له بحدة

- هاتووووه على البوكس ولموا الاقماع من الطريق وتعالوا ورايا

انقض العساكر على "حلو" وسحبوه كما تُسحب النعاج بينما هو يصرخ في صوت رفيع مُكررًا

- انا باباااا نوييل.. انا باباا نوييل.. انا باباا نوييل

ومن أمامه تقدم الضابط "عمار" إلى سيارة الشرطة وهو يرد دون أن يلتفت إليه قائلًا بصوت جمهور

- وأنا حوس حوس يا لاااااااااااااااااااا

وانطلقت السيارة بعد أن تكوم بداخلها "حلو" بجسده السمين مُتجهةً إلى قسم الشرطة.. ومن خلفه جموع المشيعين الذين انفضوا من حول "سعادة" وتركوها وحيدة مرة أخرى وهي تشاهد سيارة الشرطة تبتعد.. وقلبها مُقتضب.. وشعور داخلي غريب يُلح عليها بشدة.. شعور بأنها قد قابلت هذا الشخص سابقًا.. أو أنها تعرفه قبلًا

تعرفه بشكل غريب وقريب

*****

كانت عقارب الساعة تقترب من التاسعة مساءً حين دخلت "سعادة" إلى رواق القسم تتقدمها أمها التي كانت في حالة مزاجية عكرة، وصوتها ينم عن غضب شديد وهي تخاطب زوجها "سعادة" بصوت عالٍ غير مبالية بالعابرين في رواق القسم قائلةً

- ما هي لو كان ليها راجل أنيها مكانش حصلها اللي حصلها، إنما حقول إيه؟ شُرابة خُرج ولا ليه لازمة ولا فيه منه أمل، بليتونا بيه إن كان إنت ولا بنتك

اقتضبت "سعادة" وهي تتلفت حولها لتطالع نظرات الناس من حولها ثم اقتربت من أمها في حدة قائلة

- يا ماما لو سمحتِ، لو سمحت يا ماما قلتلك مليون مرة ما تتكلميش عن حلو بالطريقة دي

نظرت لها الأم في عدم اكتراث ثم تابعت

- مش كنتي كلمتي سبع البُرومبة يجي معاكي القسم طالما محموقة عليه قوي كدة؟ ولا فالحة بس تدافعي عنه ووقت المصايب ما تلاقيهوش؟

احمر وجه "سعادة" غضبًا وهي تقول

- أنا اسفة يا ماما، دي أخر مرة اقولكم على حاجة وحأبقى بعد كدة أتصرف لوحدي، هو في الشغل واتأخر شوية على غير العادة، أنا حتى سايبة الأكل متحضر على السفرة وكنت مستنياه، أخر مرة يا ماما.. أخر مرة.

ربت الأب على كتف "سعادة" وهو يقول لها في حنان

- بالهداوة يا بنتي، امك ما تقصدش اللي بتقوله

توقفت الأم دفعة واحدة وهي تلتفت إلى الأب في شراسة مما جعله يتوقف هو الأخر وقالت

- لا.. أقصد طبعًا، انت حتقولي على مزاجك؟ مش كفاية مجوزها على مزاجك وطاوعتها في جوازة المنكوب على عينه؟ أنا قاصدة.. قاصصصصدة

لم ينطق الأب الذي شعر أن الأم على حافة الإنفجار، و استكمل الجميع السير حتى وصلوا إلى مكتب الضابط "عمار" بعد السؤال عن مكانه وما أن دلفوا إلى الداخل حتى استقبلها الضابط في ترحاب بعد أن تذكر "سعادة" قائلًا

- اهلًا وسهلًا استاذة سعادة اسمك مميز ما يتنسيش، اهلًا وسهلًا يا حاجة، اتفضل يا حج، متأسفين جدًا اننا نزلناكم في الجو ده بس معلش بقى محتاجين نخلص اجراءات المحضر وعلى العموم المحضر جاهز أهو وعلى الإمضاء بس، وبرضه حنستأذنك محتاج أبعت أجيب الراجل المهزأ عشان قرفنا طول النهار ولازم يمضي هو كمان على المحضر.

توترت "سعادة" وهي تجيب الضابط

- أنا اللي متشكرة لأهتمام حضرتك، ويا ريت نخلص بسرعة ونمشي لإني مش عاوزة اقعد كتير

- لا أبدًا.. ثواني ونخلص

وامتدت يده لتضغط زرًا فوق المكتب دخل على اثر الصوت الصادر عنه في الخارج أحد المخبرين الأشدّاء وهو يؤدي التحية العسكرية ليأمره الضابط "عمار" قائلًا

- هاتلي الراجل المجنون اللي لابس احمر من الحجز بسرعة

أدى المُخبر التحية وأنصرف لتنفيذ الأمر و ما هي إلا لحظات حتى عاد وبصحبته "حلو" الذي بدت على ملامحه الإجهاد وتمزقت اجزاء من ملابسه وفور أن رأى "سعادة" ارتسمت على

ملامحه ابتسامة عريضة ووقف ينظر لها بهيام مما دفع الأم إلى الصراخ فيه

- إيييييه؟ في إيه يا راجل انت؟

قال "حلو" في صوت منخفض وكأنه يحادث نفسه

- إنتي جيتي؟ ان شالله تنطسي رصاصة غلط

تدخل الضابط "عمار" وهو يقول مُخاطبًا "حلو" في احتداد

- انت بتقول إيه يا حيوان انت؟ مش كفاية الجنان اللي عاملهولنا في الحجز جوة وسط المساجين

- يا باشا حرام عليك.. دول مرمطوني وبهدلوني.. مجرد محاولة حفاظي على الـ.. الـ.. الزعبوط كانت محتاجة معجزة جوة.. السفلة

- اخرس بقولك

- معلش حضرتك بس أنا محتاج اسأل على الزلاجة اللي كانت معايا.. ودتوها فين؟ حيوانات الرنة ما اكلتش من صباحية ربنا اتقوا الله

- تاني؟ تلاجة؟ ورنّة؟ و كلام فارغ؟ تاني؟ يعني لسة ما اتربتش برضه؟

- إلهي يسترك إرحمني.. ريحني بس.. العربية فين؟ الحمير فيييين طيب؟!

- موجودين برة وفكناهم منها وأكلناهم

- فكتوهم منها؟؟ ما طاروش منك طيب؟!!

- هما ايه دول اللي طاروا؟

- الحمير سعادتك

- الحمير بتطير؟! وانت راكب التلاجة؟ لا لا.. انت زي الفل الحمدلله.. و الامور دي ما تخشش عليا أنا.. بعدين لينا كلام تاني بعد ما نخلص المحضر.. حفوق لك بقى.. إمضي على المحضر ده وخلصنا

- أنا مش حمضي على حاجة حضرتك.. أنا معملتش حاجة.. حتى ممكن تسأل الاستاذة سعادة

قاطعته الأم بسرعة قائلة في حدة

- وانت عرفت إسمها منين بقى إن شاء الله؟

توتر "حلو" مع هذا الخطأ الذي صدر عنه ولم يجد ما يجب به مما دفع الأم إلى الصراخ

- ده شكله مجرم يا حضرة الضابط ولازم تعدموه.. ده شكله بيراقب البت بقاله فترة وخصوصًا ان المعدّل جوزها مش فاضيلنا

صاحت "سعادة" في حدة معترضة

- ماما!!!!!!

وانقلبت سحنة "حلو" في غضب وهو يقول

- مش فاضيلكم ليه يا ترى؟ أكيد إنتي قاعدة معاهم في البيت وهو طفشان بسببك.. شكله مش بيحب يتابع حلقات سيد قشطة بتاعة انيمال بلانيت

هبّت الأم واقفة وهي تصرخ في جنون

- سيد قشطة أما يبقى يفرمك يا راجل يا مُهزأ يا حرامي يا مجرم.. لازم تعدموه يا حضرة الضابط

وقف الضابط "عمار" صارخًا في الجميع

- باااااااااااااااااااس.. ايه ده؟ انتوا في قسم شرطة.. كل واحد يحط لسانه جوة بقه.. لو سمحتِ يا حاجة ما تتكلميش غير أما أطلب منك

- ما اتكلمش إزاي انت مش شايف الحيوان ده بيقول إيه؟

قال "حلو" بصوت منخفض قصد أن يصل لها

- يا سيدة يا قشطة

اندفعت الأم ناحيته في غضب لولا أن استوقفتها "سعادة"، واستكمل الضابط صراخه

- قلت بااااااس.. بس يعني بس.. هوش.. هوس خالص.. ولا كلمة.. سكووت.. صمممت

سكت الجميع وعاود الضابط الجلوس مرة أخرى في غضب.. وهنا تحدث "حلو" قائلًا

- أنا حاقول على كل حاجة

نظر له الضابط "عمار" في غضب قائلًا

- يا ريت خلينا نخلص

نظر "حلو" إلى "سعادة" في هيام مرة أخرى وهو يقول

- يا بنتي هو انتِ زعلانة مع جوزك؟

هبت الأم واقفة مرة أخرى قائلة في هياج

- وانت ماااال أمك؟؟؟؟!

صرخ الضابط

- وبعدييييييييييين

أكمل "حلو" مُوجهًا كلماته إلى "سعادة"

- يمكن يا بنتي ما بقتيش سعيدة معاه ومحتاجة منه حاجة يجيبهالك أو حاجة يعملهالك أو حتى كلمة كان بيقولها وبطّل يقولها؟

نظرت له "سعادة" في توجس ثم قالت في حذر

- مع أني ما اعرفكش ولا اعرف أنت مالك ومال الموضوع ده.. بس لازم تفهم أن الست مننا مش مستنية هدية ولا موقف ولا كلمة عشان تبقى عايشة في سعادة.. كفاية قوي قوي من الراجل انه يضحك في وشها لما يشوفها.. كفاية إنه يبقى فعلًا سعيد عشان تحس هي كمان بالسعادة في بيتها.. كفاية إنها تبقى عارفة إنها محور حياته وإنها أهم حاجة عنده بجد عشان تكون سعيدة.. عمر الهدايا ولا الحركات ولا الكلام ما حققوا السعادة من القلب لأسرة

وقف "حلو" مشدوهًا بكلمات "سعادة" وهو ينظر لها مستمعًا.. ثم ما لبث أن قال لها في تساؤل

- وجوزك يا بنتي مكانش محسسك إنك محور حياته؟!

أطرقت "سعادة" رأسها في حزن وهي تقول في صوت خافت

- كان

شعر "حلو" بغصة في حلقه بينما انتفضت أم "سعادة" قائلة في حدة

- انت حتعملنا مُصلح اجتماعي يا مجرم انت؟ إنت مالك ومالنا.. الراجل ده لازم يتعدم يا حضرة الضابط

هب الضابط "عمار" من مجلسه مرة أخرى وهو يوجه كلامه إلى "حلو" مُحتدًا

- بقولك إيه يا راجل يا مجنون أنت.. خلصني وأمضي على المحضر عشان اخلص من الهم ده.. أنا مش فاضي للجنان ده منك ولا منها

نظر له "حلو" قائلًا في تحدي

- مش ماضي على حاجة

تصاعدت الدماء إلى وجه الضابط "عمار" وهو يقول

- وماله.. لينا صرفة إحنا مع بعض

وامتدت يده لتضغط الزر فوق المكتب ويدخل على اثره مخبران ليقول لهما الضابط "عمار"

- خدوه عشوه بقى عشان جعان

انتفض "حلو" والمخبران يبدأ في جره خارجًا وهو يقول

- عشوه دي شكلها ضرب.. وأنا مش حسكت.. لو حد ضربني أنا مش حاسكت على فكرة

ثم نظر إلى "سعادة" قائلًا والمخبران يواصلان محاولة سحبه بالقوة و"حلو" يقاوم في استماتة

- على فكرة.. طول عمرك كنت محور حياته.. أنا متأكد من كدة.. عمره ما فكر في أي حاجة غيرك.. بس تلاقيه ملهي في الشغل زي بقيييت الرجاااااالة

وأخيرًا نجح المخبران في سحبه خارج الغرفة وسط صراخ "حلو" وصفق الباب وراءه تاركًا "سعادة" وعقلها يصرخ بأن هذه الكلمات وهذه الطريقة ليست بغريبة عنها أبدًا

*****

على جدران حجرة المأمور.. أشارت عقارب الساعة إلى الحادية عشر والنصف مساءً.. بينما وقف "حلو" وهو يتأوه بين المخبرين داخل الحجرة وهو في حالة يُرثى لها أمام مكتب الضابط.. وتبدو على ملامحه كدمات متفرقة تشير إلى تعرضه لضرب مبرح طوال ساعات مضت دون توقف

قال الضابط "عمار" وهو ينظر في هاتفه المحمول بأنتباه دون أن يلتفت إلى "حلو"

- هـا يا روح أمـك؟.. مـش عـاوز تقـول انـت مـين وتبـع مـين؟؟ سـيبك مـن موضـوع محضر التحـرش ده عشـان ده مـش مـزاجي خالـص.. دي حاجـة كـدة بنعملهـا عشـان نـرضي السـادة المواطنـين في الشـارع.. خلينـا في المهـم الـلي حيجيبـلي الترقيـة.. طيـب.. المسدسـات وطلعـت بلاسـتيك.. إنما حجم وتصميم طبيعي وشـكلك عـاوز تسـتعملها لترويـع المواطنـين الأمنـين.. أدي أول تهمـة.. والسـواريخ.. حتسـتعملها في إحداث حالة من الهرج والمرج والبلبـلة وتعتـبر في مقـام قنابـل صوتيـة.. أدي تهمـة تانيـة.. الدقـن ثابتـة.. ومفيـش بطاقـة.. قولنـا بقى على اسمك عشـان نقفل المحضر خلينـا نخلـص.. وسـيبك مـن موضـوع بابا نويـل ده عشـان مـرارتي مـش مسـتحملة.. عمومًـا أنا مـش مـروح.. نباطـشي لحـد بُكـرة زي دلوقـتي.. وحكـون سـعيد جـدًا جـدًا جـدًا اني امرمطـك لـو مـا خلصتنـاش

رد "حلو" بصوت يكاد لا يقوى على الخروج

- تمرمطني؟؟ ده على أسـاس انـكم بتعملـولي تاي مسـاج من الصبـح مثـلا؟؟؟ حضرتـك أنا خسـيت اربعـين كيلـو مـن الـضرب حضرتـك.. ارحم حـتى البشـوات الـلي بيضربـوني.. ايديهـم ورمـت مـن الـضرب والاقـلام والشـلاليت.

تـرك الضابـط هاتفه المحمـول.. ورفع رأسـه إلى "حلـو" مُبتسـمًا وهـو يقـوم مـن مجلسـه ويقـول في تشـفٍ واضح

- ضرب؟؟ ضرب إيـه لا سمـح الله؟؟ انـت جي مـضروب جاهـز.. احنـا حـتى خلصنـاك مـن إيـد النـاس الـلي كانـت عـاوزة

تفتك بيك في الشارع لولا تدخل قوات الشرطة العقلاء – اللي هما احنا طبعًا – وحافظنا على روحك من الهلاك.. شوف الرحمة

- لا يا راجل؟؟

- اوماااال؟!!! والضرب اللي بتقول عليه ده.. لسة حتشوفه أما نوديك المكان إياه.. المكان اللي بنبعت فيه الناس اللي ما بترجعش تاني.. حبيب قلبي.. دا انت بالأحمر ده حتبقى صيدة هناك من أول ما تدخل.. دول ما شافوش لون غير الاسود من يحي سنتين

ظهرت علامات الرعب على وجه "حلو".. أعقبه اندفاع الضابط نحوه مُمسكًا بوجهه وذقنه وهو يقول في عنف

- انطق قول انت مين يا روح أمك وبلاش شغل المجانين ده بدل ما أطلع البلا الأزرق على جتتك.. انطق

انهار "حلو" من شدة العنف حيث بدأ المخبران المجاوران له الإستعداد لمواصلة الضرب مرة أخرى في انتظار إشارة الضابط.. وقال في صوت يقترب من البكاء

- انا حقول على كل حاجة.. الرحمة.. خلاص مش قادر.. أنا حقول حقول

وقف الضابط وشد قامته في فخر.. وهو يُعدّل من هندامه ويقول

- انطـق.. عشـان لـو قلـت كل حاجـة حـترحم نفسـك.. وانا كـمان أوعـدك أسـاعدك

نظر له "حلو" في لا مبالاة.. وهو يقول

- بصراحة.. حضرتك.. انا.. مش بابا نويل

- وأنا كـمان مـش دراكولا.. انمـا صدقـني.. حـشرب مـن دمـك لـو مـا نطقتش...انطـق خلصـني بقـول

- حضرتك.. أنا.. أنا.. أنا اسمي حلو

تراجع الضابط ليستند إلى طرف مكتبه.. وهو يقول

- كويس.. حلو.. ومالو.. اسمك إيه بقى؟؟

- ما أنا بقول لحضرتك أهو.. اسمي حلو

- وبعديـن بقـى في الليـلة الزفـت دي؟؟؟ عرفنـا إن زفـت إسمـك حلـو.. قولهولنـا وخلصنـا

- اسمي الثلاثي يا باشا عشان نخلص حلو جميل خالص

اطـرق الضابـط برأسـه في وجـوم.. ونظـر إلى الأرض في يـأس.. ثم عـاود رفـع رأسـه إلى "حلـو" وهـو يقـول في هـدوء

- واضح انك متدرب كويس.. ومتعـود عـلى الضرب كويس.. إنما مـا تفتكـرش إننـا بنـضرب بـس؟؟ لا لا لا.. خالـص.. أنا حشـوفلك حاجـة حلـوة.. يا حلـو.. عشـان تنطـق.. مـش انـت اسمـك حلـو؟؟؟

اومأ "حلو" برأسه إيجابًا في تضرع.. وهو يقول

- وشرف أمي اسمي حلو

- مصدقك يا حبيبي.. اسمك حلو وجميل خالص.. عيني.. انا فهمت انت لابس أحمر ليه.. ودايرفي الشوراع بتتحرش بالنسوان ليه.. أنا حريحك خالص.. تصدق أنا غلطان اني ما اخدتش بالي من الأول؟؟ معلش.. عندي أنا دي.. أصل بقالي زمان ما شفتش العينات دي

ونظر إلى أحد المخبرين قائلًا بلهجة ذات مغزى

- اندهولي فرج من برة

استيقظت حواس "حلو" بالكامل مع ذكر الإسم.. وبدأت خلجاته تتوتر بشدة وهو يحاول الربط بين الإسم الذي ترامى إلى مسامعه وبين ما يدور في مخيلته وبين ايحاءات الضابط الغير مفهومة.. وقطع تفكيره.. دخول "فرج" إلى الغرفة

مخلوق من عالم ما وراء الطبيعة.. ضخم الجثة مفتول العضلات.. يحمل شاربًا كثًا عملاقًا اقتطع جزءًا كبيرًا من وجهه الذي خلت قمته من أي شعر.. مما جعل "حلو" يتملص من يد المخبرين.. وهو ينظر إلى "فرج" متراجعًا في خطوات بطيئة نحو الجدار قائلًا في صوت مرتجف

- يا لهوووووي.. يا لهويييييييييي.. ياااااا لهوي

قاطعه الضابط مقاطعًا...

- لا لا لا.. ما تقولش كدة.. يا لهوي دي حتقولها بعد ما فرج يعرّفك انت أد ايه حلو زي ما بتقول

ونظر الضابط إلى "فرج" صائحًا

- فررررررررررج

تحرك "فرج" في خطوات بطيئة نحو "حلو" الذي إلتصق بالجدار وهو يقول في صوت حاول أن يتماسك خلاله

- بس ده مش قانوني على فكرة.. الضرب كمان مش قانوني بس تعرف.. انا موافق على الضرب عادي.. انما ده مش موافق عليه

تقدم "فرج" خطوة أخرى.. واستمر "حلو" قائلًا

- طيب أنا عاوز فرج بتاع فيلم الكرنك.. ده شكله مش كويس.. التاني كان شكله محترم.. ده شكله حيوان

كشر "فرج" عن انيابه وامتدت يده نحو أزرار قميصه وبدأ في فكها ببطئ.. مما جعل "حلو" يرتعد وهو يقول

- شكل اللي ينطس في سطوره حليمو كان يقصد السندريلا بتاعتنا احنا.. مش بتاعة الحواديت.. واضح اني حأدي دور سعاد حسني في الزمن المعاصر

تقدم "فرج" خطوة أخرى بعد أن فك كل أزرار قميصه.. وامتدت يده وامسكت بكتفي "حلو".. مما جعل "حلو" يصرخ قائلًا

- ثواني يا باشا.. ثواني

نظر إليه الضابط في غضب قائلًا

- استنى يا ابني.. خير يا روح امك يا حلو يا جميل؟؟

- ممكن اسأل حضرت سؤال واحد بس.. سؤال واحد

- أأمر يا حبيبي.. نفسك في ايه قبل ما تحلو كمان وكمان؟؟

- الساعة حضرتك

- نعم يا خويا؟؟؟!

- الساعة كام حضرتك؟؟؟

نظر الضابط إلى ساعته ثم قال

- اتناشر يا قمر

- اتناشر بالظبط معاليك؟؟؟؟

- يعني داخلة على اتناشر

- ممكن تحدد معاليك

- الا دقيقة تقريبًا.. عاوز حاجة تاني يا حلو انت يا حلو؟؟

- حاجة واحدة بس حضرتك

- خير؟؟؟ إيه تاني؟؟ أأمر يا جميل

- ممكن تديني دقيقة واحدة مع فرج؟؟

- ياختي جميلة؟؟؟ ليه يا حلوة؟؟؟

- يعني.. نتعرف على بعض أكتر

هب الضابط مُنتصبًا في عنف وهو يصرخ في غضب هادر

- فرررررررررررررررج

وهنا انقض "فرج" على "حلو" الذي دفعه بسرعة.. وانطلق يجري داخل الغرفة كالمجنون وهو يصرخ في صوت رفيع

- يا لهووووي.. يا لهوووووووي.. ياااااا لهووي

وقبل أن يطبق عليه الجميع بلحظة واحدة.. تغيرت الأشكال من حوله.. وتداخلت وامتزجت ببعضها البعض.. وبدأت الألوان في السطوع مرة أخرى.. لمدة دقيقة أو أقل.. حتى بدأت الأمور تعود إلى طبيعتها مرة اخرى.. ولكن.. دون أن يكون لـ "حلو" أي أثر.. على الإطلاق

*****

ألوانٌ.. ألوانٌ.. ألوانٌ

من جديد وجد "حلو" نفسه محاصرٌ بالألوان لدقائق قليلة.. إنتهت سريعًا عندما خفتت تدريجيًا ووجد نفسه واقفًا من جديد داخل القبو الكبير المُمتلأ بالكتب.. نظر إلى نفسه في سرعة فوجد أنه قد عاد إلى سيرته الأولى.. فخرّ إلى الأرض يقبلها وهو يحمد الله.. ثم نهض ينظر حوله ويتحسس جسده في لهفة.. فوقع نظره على الكتاب العتيق

إقترب "حلو" من الكتاب في بطىء وهو ينظر إليه نظرة غليل واضحة ثم قال

- طبعًا حتعمل فيها كتاب براين دلوقتي ومش حتنطق بعد ما تابعت اللي حصل.. إنما أكيد اللي حيخليك تنطق تاني أما تعرف إني نويت والنية لله إني أولع فيك وسط الكتب دي ولا من شاف ولا من دري

صدر صوت "حليمو" من قلب الكتاب العتيق في هدوء حذر قائلًا

- بصراحة.. أنا ما شفتش حظ مهبب كدة طول عمري.. عمري ما شفت حدوتة بالشكل ده

- حدوتة؟؟ بس ما تقولش حدوتة.. حدوتة إيه يا بواقي سور الازبكية إنت.. ده كان حيبقى تحقيق في صفحة أخبار الحوادث عن أول بابا نويل في التاريخ يخرج من قسم شرطة شايل في ايده عيل.. انت كنت مستني إيه؟؟؟ أما نعلن خطوبتنا أنا وفرج وأمناء الشرطة في القسم يبتدوا يوزعوا كوفرتينا؟؟! ده أنا كان بيني وبين الفضيحة مسافة شعر شنبه بس

رد "حليمو" قائلًا

- يا ابني إحنا متفقين.. اليوم بينتهى اتناشر بليل.. مكانش ينفع أتدخل خالص إلا في حالات الضرورة القصوى

- ودي حضرتك كانت حالات أمراض جلدية مثلا؟!!!

- إفهمني.. في الوقت ده.. أنا كل اللي بعمله إني بنقل الحواديت زي ما قلتلك.. أنا مجرد ورق بين غلاف

- تنقل إيه وتهبب إيه؟؟ إلهي ينقلوك اتنين.. واحد أعمي والتاني مكسح.. انت لو جبت سيرة الحدوتة دي في المستقبل حتتقفش أداب ونسلي حتطارده اللعنات إلى يوم الدين.. دي أصلا مش حدوتة.. دي قلبت قناة دِش متشفرة في الأخر!!

- لا بس الحمد لله.. خلص في الوقت المناسب الحمد لله

- لا يا شيخ؟؟؟ كنت مدها خمس دقايق كمان لحد ما كان فرج أخد غرضه مني وكنت بقيت سِلفة سندريلا بجد.. وساعتها كنت حلبس الفستان رسمي يا كتاب فوق تمنتاشر سنة.. بس مكنتش حلاقي أمير في أي حدوتة يرضى بيا.. في أمير حيرضي بواحد بكرش ولابس فستان؟؟ حسبي الله ونعم الوكيل فيك يا شيخ

صدرت ضحكة "حليمو" من قلب الكتاب ثم قال

- خلاص بقى.. عدت.. الحواديت ياما بيحصل فيها.. وأهي خلصت على خير.. ولا تكون فاكر ان كل الحواديت حلوة وجميلة.. يا ابني ما انا قلتلك.. احنا بس بننقل الجزء اللي يدي للناس أمل ويخليهم يقدروا يكملوا

- دي حدوتة محبة.. أنا عاوز التسجيل بتاع الحدوتة دي لو سمحت عشان لازم يتمسح وإلا مش حيحصل كويس.. ده لو وقع في ايد المستشار مرتضى بتاع السيديهات حيتعمله يوم سنوي للاحتفال بيا

ضحك "حليمو" مرة اخرى ثم قال

- لا.. اطمن.. ما اتسجلتش.. ولا حتتذاع.. ده كان موقف محب.. موضوع السعادة ده طلع صعب.. ومحتاج ترتيبات وشغلانة.. واحنا عاوزين نستغل الوقت

انتبه "حلو" إلى الوقت.. نظر إلى ساعته فوجدها قد تعدت الثانية عشر بنصف الساعة.. فقال للعجوز في تساؤل

- هو الحج عزازي ما نزلش من إمبارح؟؟ ما جاش؟؟؟

- لا.. محدش جه

- غريبة؟؟! الموضوع ده مش طبيعي.. انا كدة بقالي اكتر من اربعة وعشرين ساعة كاملة هنا.. والراجل ما جاش.. الموضوع ده ما يطمنش.. الراجل اكيد جراله حاجة !!!

- سيبك من الحج عزازي دلوقتي ونبقى نشوف الموضوع ده بعدين.. المهم خليك معايا.. ناوي تعمل إيه دلوقتي؟؟ ولا كفاية كدة؟؟؟

شبك "حلو" يديه وراء ظهره وهو يسير في حلقة صغيرة وتبدو على ملامحه علامات التفكير العميق.. ثم توقف مُخاطبًا الكتاب المسحور

- تعرف يا حليمو.. أنا اكتر حاجة افتقدتها مع سعادة بعد الجواز.. هي الحاجة اللي كانت مغرقة حياتنا قبل الجواز

- إيه الفزورة دي؟؟ تقصد ايه بقى؟؟؟

- الرومانسية يا حليمو.. الرومانسية ومشاعر الحب.. من ساعة ما اتجوزنا والموضوع ده بيقل.. ويقل.. ويقل.. لحد ما اختفي تمامًا من حياتنا.. ومحدش فينا سأل عليه تاني.. وبصراحة مش عارف العيب من مين فينا

- يعني أنت محتاج حدوتة رومانسية.. قصة مكتملة المشاعر.. مش كدة؟؟؟

- بالظبط يا حليمو.. أنا محتاج أكون بالنسبة لسعادة مصدر رومانسية.. مصدر خام جديد للحب والمشاعر اللي اختفت وانا اهملتها.. محتاج أعرف منها إيه معنى وشكل الرومانسية اللي ممكن ترجعلها الفرحة تاني

صمت غلف المكان للحظات.. ثم أعقبه بدأ تحرك صفحات الكتاب في سرعة وتتابع لإلى أن توقفت فجأة مع صدور صوت "حليمو" قائلًا

- تصدق بالله.. انت راجل ابن حلال.. أنا بين حواديتي قصة واحد من أكتر الناس اللي اتحكى عنهم في تاريخ الرومانسية في العالم لحد يومنا ده

- استر ياللي بتستر.. ناوي تعمل فيا إيه تاني؟؟ المرة اللي فاتت لبستني أحمر وبكرش ونزلتني في رمسيس.. المرة دي حتعمل فيا ايه؟؟؟ بكيني وحتطلعلي ديل وتنزلني في العتبة.. ما انا عارفك.. ما بيجيش من وراك إلا البلاوي؟؟

- يا ابني بلاش غلبة.. بالعكس.. دا انت حتكون مفتول العضلات.. وسيم جدًا.. مركز كبير مرموق.. حالة كدة ما اتكررتش في التاريخ غير مرة واحدة بس

نظر "حلو" إلى الكتاب في إهتمام وتوجس في آن واحد.. ثم حسم تردده وهو يتسائل في تردد

- طب.. مفيش عربيات كارو طيب المرة دي؟؟؟

- لأ.. إطمن.. مفيش

- كرش مدلدل؟ ارداف حلاليفي؟ دقن وطالع لها وش؟

- ولا أي حاجة من الحاجات دي.. دي فرصة لقطة.. اسمع مني

- مش عارف ليه مش مرتاحلك.. وحيااااة فهرسك يا شيخ.. خلي بالك عليا في الموضوع ده المرة دي

- عيب عليك.. ما تقولش كدة

- تصدق.. مش مرتاحلك خالص

- اخلص بقى خلينا نستغل الوقت.. الساعة داخلة على اتنين صباحًا.. ياللا عشان تلحق اليوم من أوله

- استررررر يااااا رررررررب

ومرة أخرى.. بدأت أركان المكان ترتج بفعل الصوت الجهور الصادر من قلب الكتاب الذي بدأت أوراقه في التقلب بعنف وسرعة ومن قلبها يصدر صوت "حليمو" قائلًا

- كل وقت.. وله حدوتة.. بس المهم.. تكون مظبوطة

وعادت الألوان إلى السطوع من جديد

وعاد "حلو" إلى التبخر مرة أخرى

واختفي في قلب حدوتة جديدة.

*****

على الرغم من أن عقارب الساعة كانت قد تعدت الثالثة صباحًا ببضع لحظات

إلا أن "سعادة" كانت تجلس على ذات الكرسي المواجه لباب الشقة وهي تنظر إليه في صمت بعد أن عادت إلى منزلها ورفضت أن تعود مع والديها إلى منزلهما بعد خروجهما من قسم الشرطة

كانت المائدة ما زالت على هيئتها.. أصناف متنوعة من المأكولات المعدة بعناية والمنمقة بطريقة جميلة فوق سطح المائدة

لم يعد أي صنف من تلك الأصناف قابل للتذوق بعد أن أصبح باردًا بفعل برودة الطقس.. كانت مأدبة قد تم اعدادها وتوزيعها فوق المائدة بهذا الشكل الجميل تتوسطها الشموع منذ الساعة السادسة من مساء الأمس.. منذ ما يزيد عن ثمان ساعات كاملة

ثمان ساعات انتظرت خلالها "سعادة" دخول "حلو" بين لحظة وأخرى ولكن دون جدوى

ثمان ساعات كاملة.. وهي تفكر.. أين ذهب؟؟ ليس من عادته التأخر في العودة إلى المنزل بهذا الشكل؟؟ لماذا لا يستجيب هاتفه المحمول إلى أي اتصالات منذ الصباح وحتى هذه اللحظة؟؟؟ هل سُرق منه؟؟ هل ضاع؟؟

اذا كان قد قرر أن يسهر مع أصدقائه بالرغم من أن هذه ليست من عاداته.. فبكل تأكيد كان سيعود إلى المنزل في وقت أبكر من هذا الوقت.. فهو مرتبط بعمله في صباح اليوم التالي.. وهو ليس من ذلك النوع الذي يهمل عمله.. إنه يعشق عمله..

كانت تعلم هذا.. كان يسبب لها هذا بعض الغيرة أحيانًا.. ولكنها اعتادت مع مرور الوقت

ولكن.. أين ذهب حلو؟؟ أين تراه يكون في مثل هذه الساعة المتأخرة من الليل؟؟ أين هو وقد تركها بمفردها لتواجه موقفًا عصيبًا اليوم ؟

بدأت المخاوف تتسرب إلى عقلها مع مرور الوقت مثلها مثل أي زوجة وامرأة مصرية أصيلة.. لم تعد مهتمة مع مرور الوقت بمكان تواجد "حلو" في مثل هذا الوقت.. حيث انصب كامل اهتمامها على السؤال الأهم

هل هو بخير.. أم لا؟

أخذ السؤال يتردد في عقلها مرارًا وتكرارًا.. حتى اتخذت قرارًا هامًا حاسمًا

سوف تتصل بصديقه في العمل مع أول ضوءٍ لصباح اليوم اذا لم يعد قبل هذا الوقت.. صديقه "عصام".. صديق عمرهما.. ليتها تجد لديه إجابة..

تطفىء بها نار الخوف التي شبت بداخلها وتكاد تحرق قلبها قلقًا على رفيق حياتها.. حلو

*****

ألوانٌ.. ألوانٌ.. ألوان

ذات التجربة التي مر بها "حلو" سابقًا

فقدان تام للإتجاهات وعدم القدرة على تحديد المكان أو الزمان.. دائمًا ما يكون هذا هو شعوره

وفجأة.. تبدأ الألوان في الإنقشاع.. وتبدأ ملامح المكان في الظهور من حوله رويدًا رويدًا

ما هذا المكان المتسع؟؟

سؤال ألقاه "حلو" على عقله بينما الضباب الملوّن يختفي تدريجيًا

ومع التطلع والتدقيق.. اكتشف "حلو" في سرعة أن هذا المكان معروف لديه.. بل أنه من الأماكن التي عمل فيها مُسبقًا.. ويحمل لها عشقًا خاصًا

نعم.. إنها هي.. مكتبة الأسكندرية.. المكتبة التي تحتوي على ملايين من الوثائق الأثرية.. عشقه الأول.. بالفعل.. هذا هو البهو الكبير.. ولكن.. ماذا أتى به إلى هنا؟؟!

لم يشغله عن التحقق في المكان وإمعان النظر إليه إلا شعوره ببرودة شديدة بدأت تسري في أوصاله.. وتأتي تحديدًا من أسفل قدميه حتى تصل إلى أعلى الفخذين

نظر "حلو" إلى الأسفل ليقع بصره على ما جعله يُطلق شهقة قصيرة.. أعقبها صرخة رفيعة وهو يقول في هلع

- إيه ده؟؟؟؟ جيبة؟؟؟ جلد؟؟؟ بُني؟؟؟ على اللحم؟؟؟ في شهر طوبة؟؟؟ وكمان صندل من غير شراب؟؟؟ وأنا اللي مكانش عاجبني فستان سندريلا؟؟؟ حسبي الله ونعم الوكيل فيييييك يا حلييييييمو

بدأ "حلو" في النظر إلى اطرافه وذراعيه الذان يبدو عليهما القوة والشدة.. وبدأ يشعر أنه أطول قامة

جال ببصره في المكان المتسع الخاوي من أي إنسان.. فوجد انعكاسًا لصورته في الزجاج

اقترب "حلو" من الزجاج ليتطلع إلى هيئته.. ثم تحدث مُخاطبًا نفسه

- هو بغض النظر عن الجيبة الجلد.. والصديري الجلد.. والصندل الجلد.. الهيئة مش بطالة بصراحة.. طول عمري نفسي أروح الجيم عشان أبقى كدة بس المشكلة أنه دايمًا بيفتح متأخر.. وبعدين كابتن ابراهيم اللي هناك مركز مع الشباب على تمرينات القطنية وانا ببقى عاوز ألعب بطن

ظل "حلو" ينظر إلى قامته الممشوقة وعضلاته المفتولة لوهلة.. قبل أن يتساءل في صوت مسموع

- طيب يا ترى دلوقتي.. نحب نتشرف برضه.. مين الأخ؟؟؟ اللبس واضح انه حاجة روماني او اغريقي او يوناني.. بس دول كتير فخت.. انا ضيعت بتاع اربع سنين بدرس فيهم؟؟؟ انت مين فيهم بقى؟؟؟

نظر إلى انعكاسة صورته ثم أردف

- أوديسيوس؟ لا لا...كان بدقن.. اكيليس؟ اممم لا برضه كان مطول شعره.. هوميروس؟؟ يا عم هوميروس مين دا كان اعمش.. اجا ممنون؟؟ لا لا كان تخين.. مين يا حلو؟ تطلع مين يا حلو؟؟

وأثناء تساؤلاته.. لمح في انعكاس الزجاج شيئًا ما مربوط إلى خصره.. لاحظه لأول مرة.. نظر "حلو" إلى ذلك الشيء فوجده سيفًا.. نزعه من غمده ونظر إليه عن قرب ليجد على قاعدته نقوش كتبت بلغة رومانية قديمة كان يعرفها بحكم عمله.. وقرأها على الفور وهو يقول في شرود

- أنطونيو ؟!! مممممم.. لا كويسة دي منك يا حليمو.. أنطونيو وكليوباترا.. يا سلاااام.. لا وشوف سخرية القدر.. انا في نفس المكان اللي أنطونيو بنفسه كان السبب في حرقه.. اهو ساب روما تضرب تقلب وقعد يحب في كليوباترا لحد ما اوكتافيوس حط عليه وعلى كليوباترا وعلى الامبراطورية كلها وبقى أول امبراطور روماني منفرد.. يااااه.. الله يرحمك يا شيكسبير.. غاوي نكد يا شيكس من يومك والله

ظل "حلو" يدور هنا وهناك طوال ما يزيد عن ساعتين من الزمن حتى تعدت عقارب الساعة الخامسة والنصف صباحًا ببضع دقائق.. في الوقت الذي بدأت أنوار الصباح تدخل إلى حرم "المكتبة العظمى" كما كان يطلق عليها قبل الميلاد.. وذلك

من خلال السقف الزجاجي العملاق.. وعلى الرغم من ضوء الشمس البسيط إلا أن ركبتا "حلو" بدأتا في الأرتعاد وهو يقول

- جيبة في طوبة يا مفتري.. مفيش فايدة.. حستهوى حستهوى.. طب كنت لبسني كلسون!!

وقف "حلو" عاقدًا ساعديه أمام صدره في محاولة لتخفيف أثار البرودة.. وأخذ يتحرك في أرجاء المكتبة في نشاط مُحاولًا ادخال بعض الدفئ إلى جسده الذي يكاد يتجمد.. وهو ينتظر وصول عمال النظافة الذين يصلون في السابعة صباحًا ليبدؤوا في تجهيز قاعات المكتبة لاستقبال جولات الضيوف والزائرين التي تبدأ يوميًا في العاشرة صباحًا.. معلومات كان يعلمها ببساطة بحكم تردده على المكتبة مئات المرات أثناء شبابه وأثناء دراسته وأكثرها من خلال عمله

وبالفعل.. بدأت أبواب المكتبة الداخلية تفتح وبدأ عاملو النظافة في الإنتشار بينما كان "حلو" متواريًا إلى أن وجد اللحظة المناسبة.. فانطلق خارجًا من أحد أبواب المكتبة الكبيرة.. ومنها إلى الشارع.. ليجد نفسه على شاطئ الأسكندرية المزدحم في هذا التوقيت وكل اهلها تقريبًا.. ينظرون إليه.. ويكادون يفقدون حياتهم

ضحكًا

*****

أشارت عقارب الساعة إلى السابعة والربع صباحًا حين أرتفع رنين هاتف "عصام عبدالراضي" وهو ما يزال يتناول فطوره في منزله

امسك بالهاتف في اندهاش وهو يتساءل عن ماهية المتصل في مثل هذا الوقت المبكر

انعقد حاجباه في شدة وهو يشاهد على شاشة هاتفه إسم "سعادة".. وأجاب في سرعة واللهفة تطل في كل كلمة من كلماته.. فهو لم يتلق قبل منها اتصالًا في مثل هذا الوقت المبكر أبدًا

- الوو.. صباح الخير يا سعادة خير؟؟ في حاجة؟؟؟

- صباح الخير يا عصام.. ازيك؟؟ عامل إيه؟؟

- أنا تمام الحمد لله.. في حاجة يا سعادة؟؟ حلو كويس؟؟ الحج والحجة كويسين؟؟

توترت خلجات "سعادة" وهي تستمع إلى "عصام" الذي على ما يبدو من سؤاله أنه لا يعلم شيئًا عن "حلو".. ولكنها قالت في سرعة

- أنا متصلة بيك مخصوص عشان اسألك على حلو يا عصام.. حلو ما رجعش البيت من امبارح بليل.. أنا خايفة قوي يا عصام.. ما تعرفش هو فين؟؟

تنهد "عصام" في ارتياح.. وهو يجيب

- يا شيخة خضتيني.. بصي.. حلو قالي أنه واخد مأمورية أسبوع تقريبًا.. الريس عندنا في الشغل كلفه بيها.. بس هو ما قالش فين بالظبط.. أنما هو فهمني أنه مش حايجي الشغل.. يمكن تكون المأمورية مش في القاهرة وسافر مثلًا يا سعادة

- طول عمره يسافر صد رد يا عصام عمره ما بات برة البيت أبدًا

- طب هو ما قاللكيش قبل ما ينزل الصبح هو رايح فين بالظبط؟؟؟

- أصل.. أصل انا ما كنتش في البيت.. كنت بزور ماما يومين ورجعت ما لقيتوش.. ومن ساعتها ما رجعش وبعدين هو مش واخد معاه هدوم ولا حاجة يا عصام

- بصي.. اطمني.. ممكن يكون مأمورية يوم ونص مثلًا وهو عارف انك عند ماما.. فا قال بدل ما يرجع البيت بسرعة.. ياخد وقته ويرجع تاني يوم مثلًا يكون خلص.. عمومًا.. لما يرجع انهاردة طمنيني عليه.. وأنا حكلمه على موبايله كمان ساعة كدة لما أوصل الشغل

- ربنا يخليك يا عصام لو كلمته خليه يكلمني ضروري عشان موبايله مش لاقط خالص

- حاضر يا ستي.. ياللا صباح الفل عليكي

انهت "سعادة" المكالمة وقد بدأت بعض الراحة تتسرب إلى نفسها.. ولكن في ذات الوقت.. كان هناك شعورٌ خفي ملازمًا

لها.. يصرخ بداخلها طوال الوقت.. يخبرها أن الأمور ليست على ما يرام أبدًا

*****

تسارعت خطوات "حلو" وهو يسير إلى جانب الأسوار التي تواجه بحر الأسكندرية.. بينما ينظر إليه الكل في سخرية شديدة

من ذلك المجنون الذي يسير في مثل هذا الطقس الذي يقترب من التجمد وهو يرتدي مثل تلك الثياب العارية المضحكة؟

كان "حلو" بالفعل يكاد يتجمد بردًا وهو يخاطب نفسه قائلًا

- مش حاسس بركبي خلاص.. من بعد الركب وانت طالع باظ مني.. انا عارف كلها دقايق وحيجيلي برد في المعدة يعقبه اسهال مزمن.. حاموت ومش مسامحك يا حليمو.. طب كنت ابعتني بشراب تحت الصندل!

استمر "حلو" في السير وقد تعدت الساعة العاشرة صباحًا.. كان يتجه إلى لا مكان.. لا يعلم كيف سيصل إلى "سعادة".. كيف سيغادر الأسكندرية مُتجهًا إلى القاهرة وهو لا يحمل قرشًا واحدًا؟؟

ظل يفكر لساعة ويزيد.. حتى اتخذ قرارًا.. استجمع من خلاله كل شجاعته

توقف وسط الطريق.. وبدأ في مخاطبة المارة

- والنبي لو سمحت.. محتاج ارجع القاهرة والمحفظة ضاعت

- روحوا اشتغلوا بقى جتكم الهم والغم مليتوا البلد!

مر رجل أخر..

- بعد اذنك محتاج مساعدة.. ممكن فلوس بس اركب أروح؟؟ انا مش من هنا أصلي

- مساعدة إيه يا بغل اللي عاوزها؟ دا احنا اللي عاوزين مساعدة، انت مش شايف انت عامل ازاي؟؟ دا انت بغل صحيح!

مرت سيدة مُسنة متجهة إلى عملها

- بعد اذنك يا حجة.. أي حاجة لوجه الله طيب.. إلهى تحجي يا رب.. أي فلوس أركب وأروح حموت من البرد.. فخادي نملت يا نااااس

- فخادك؟؟؟ فخادك ايه يا راجل يا قليل الأدب.. أنا حفرج عليك خلقه.. انا حا ألم عليك عبيدووو

- لاااا لاااا لاااا.. أنا اسف.. انا ماشي خلاص.. ده انا كنت لابس بدلة فرو وبهدلوني.. أومال لما يشوفوني بجيبة؟؟؟.. أسف يا حجة..أسف..سلام

وانطلق "حلو" مُسرعًا الخطى مُبتعدًا بدون أن يلتفت وراءه للحظة واحدة وكأن شياطين الأرض تطارده

فشلت خطته.. ولا بد من تصرف أخر.. لا بد من طريقة يعود بها إلى القاهرة

وفجأة.. قفزت إلى رأسه فكرة أخرى.. لم يلبث أن وضعها في موضع التنفيذ الفوري

اتجه "حلو" إلى أحد الأسواق المزدحمة القريبة من مكان مروره.. ودلف إليها وسط نظرات المارة التي امتلأت بالسخرية تارة والاشمئزاز والامتعاض مرة أخرى

وقف "حلو" بالقرب من أحد الباعة.. وخلع سيفه من حول خصره.. ثم بدأ في الهتاف

- سيف للبيع.. للبيييع.. سيييف.. يا جماعة اللي عاوز سيف.. صلي على النبي.. سيف للبيع.. ايووووة.. ايوة السيف.. يا ابو السيووف.. قررب قرررب قرررب.. السيف السحري.. سيف انطونيو.. السيف الأصلي.. مش صيني ولا مصري

بدأ المارة يقفون ويتجمهرون حول "حلو" الذي بدأت الأسئلة تنهال عليه

- بكام ده يا عم؟

- اللي تجيبه يا بيه.. ده سيف انطونيو الأصلي وربنا يسامحني على العاملة السودة دي اللي حأعملها في حق التاريخ

- أيوة يعني أخره كام؟؟

- يا ريس اللى تجيبه.. كُلك نظر.. دي الحتت بتطلع من تحت البيوت في نزلة السمان وبتتباع بفلوس كتير مووووت.. والاجانب بيشتروها هوا.. ما انت فاهم بقى

- يعني يمشي معاك خمسة؟؟؟

- يمشي طبعًا.. بس معلش انا عاوزهم كاش.. ما بخدش شيكات

- يا سلام؟؟ عيني.. ادي اهي حتة بخمسة

- ايه ده؟؟؟!!!

- خمسة جِني زي ما اتفقنا!!!

- خمسة جنيه ايه يا راجل يا مجنون انت؟ بقولك سيف انطونيو الأصلي تقولي خمسة جنيه.. انا عاوز خمس الاف جنيه

انفجرت الضحكات من حول "حلو" في كل مكان استنكارًا حتى أن بعض المتجمهرين جلسوا أرضًا لا يقوون على الوقوف من شدة الضحك.. بينما اكمل الرجل الذي يريد شراء السيف قائلًا

- حيمشي معاك خمسة جني ولا نمشو؟؟؟

انفجر "حلو" صائحًا في هيستريا وهو يلوّح بيديه في الهواء قائلًا

- سيف "مارك أنطونيو" بخمسة جنيييه ياااا كفررة؟!!

تدخل رجل أخر في الحوار وهو يسأل "حلو"

- يمشي معاك بعشرة طيب يا برنس؟؟؟

نظر له الرجل الأول وهو يقول

- خلاص أنا خلصت فيه بخمسة

لطم "حلو" خديه وهو يقول للرجل صارخًا

- لا يا خويا.. ما خلصتش.. ما خلصتش يا ظالم يا مفتري.. مش بايع بخمسة أنا

تدخل رجل ثالث قائلًا

- تاخد عشرين جني وتخلص دلوقتي؟

بدأت الأصوات ترتفع بين المتجمهرين.. وبدأت العروض تزداد من هنا ومن هناك حتي وصل سعر السيف إلى مائة وخمسون جنيهًا.. قام بدفعها جزارٌ من السوق وأخذ السيف ليستخدمه في متجر اللحوم

وقف "حلو" ينظر إلى النقود في يده.. ثم نظر إلى الجزار المبتعد بالسيف الأثري.. وقال مُخاطبًا نفسه..

- لسوف يذكر التاريخ.. أن "مارك أنطونيو" وقف في سوق سمك يبيع أعز ما يملك.. سيفه.. شرفه.. عرضه.. بمية وخمسين جنيه.. وليه كل ده؟؟؟ عشان يركب مكروباص من اسكندرية للقاهرة وينزل موقف مشعل.. التاريخ سوف.. سوف.. يالله.. حسبي الله ونعم الوكيل فيك يا حليمو

بدأ "حلو" في التحرك من مكان السوق.. بعد أن إبتاع عددًا من ارغفة الكبدة من فوق احدى العربات المنتشرة في السوق.. وأخذ يدسها في فمه دسًا من شدة الجوع.. تحرك مُنطلقًا إلى الشارع الرئيسي.. أشار إلى العديد والعديد من سيارات الأجرة التي رفض أغلبها مجرد التوقف مع مظهر هذا الفحل الذي يرتدي تلك الملابس الغريبة في هذا التوقيت من عمر الشتاء القارص

ولكن في النهاية.. توقفت إحداها ليدخل "حلو" إليها مُسرعًا مُنشدًا بعض الدفء.. ليبادره سائقها الذي تبدو على ملامحه أنه قد تعدى الستين من العمر بسؤال معتاد

- على فين العزم ان شاء الله؟؟

- موقف مصر ان شاء الله

- وإيه اللي انت لابسه ده يا ابني؟

- لا دي حكاية طويلة يا حج.. يعني.. شغل مسرح بقى وتمثيل وبتاع

- إيه ده؟؟ هو حضرتك ممثل؟؟؟

- إيه؟؟ آه.. ايوة ايوة.. ممثل إن شاء الله

- بس، عرفتك.. انت الاستاذ تامر هجرس.. صح؟؟

- يا حج تامر هجرس ايه بس؟؟؟

- انت تامر هجرس ومش عاوز تقول عشان المعجبين والزحمة وكدة.. صح؟؟

- شوف يا أخي الذكاء.. هما كدة سواقين التاكسي ما حدش يعرف يضحك عليهم أبدًا.. عفارم عليك.. عفارم عليك يا حج كشفتني

- يااااااه.. والله الواحد ما عارف يقول إيه يا أستاذ تامر.. إحنا انهاردة عيد والله.. ويا ترى الاستاذة يسرا عاملة إيه؟؟

- يسرا مين يا حج؟؟؟!!

- الفنانة يسرا.. مش كنت بتمثل معاها في تمثيلية شربات موز ولا لوز باين؟

- ايه؟ آه.. تقريبًا.. مش عارف.. انت ادرى بقى يا حج.. انا اصلي مش متابع التليفزيون بصراحة

ضحك الرجل العجوز ضحكة عالية لا تتناسب مع سنه وتدل على انه ذو صحة ممتازة.. ثم أردف

- والله دمك زي السكر يا استاذ تامر.. احكيلي بقى.. الست هند صبري حلوة كدة فعلًا في الحقيقة ولا بيبقى ده شغل مِكياش؟؟؟

- مِكياش؟! مممم.. هو يوم مش فايت

واستمرت المحادثة بين سائق الأجرة العجوز وبين "حلو" الذي شعر أنه في غضون لحظات قصيرة سينقض على الرجل ليمتص دمه.. ولكنه ظل يتهرب من اسئلته بشكل غير مباشر

مستخدمًا إجابات دائمًا تدفع الرجل إلى القهقهة بصوت مرتفع.. حتى وصل إلى وجهته.. شكر "حلو" العجوز وألقفه أجرته مع وعد أنه سيرسل له تلك الصورة الموقعة منه شخصيًا.. وأنه سيوصل سلامه إلى الفنانة حلا شيحا بكل تأكيد عندما يراها في بروفات الفيلم الذي يقوم ببطولته حاليًا

استقل "حلو" احدى عربات الميكروباص المتجهة إلى القاهرة التي تحركت فور أن اكتمل عدد ركابها الذين كانوا ينظرون بين الحين والأخر إلى ذلك الراكب الذي يجاهد بكل قوته طوال الوقت في شد أطراف التنورة البنية الجلدية القصيرة التي يرتديها إلى ابعد نقطة ممكنة يمكنه أن يُغطي بها ركبتاه المتجمدتين طوال الطريق

وطوال الطريق الذي استغرق ثلاث ساعات.. كان "حلو" يفكر في شيء واحد فقط

كيف سيكون لقاءه بـ "سعادة" هذه المرة؟ كيف سيحمل لها قدرًا من الرومانسية تجعلها تتذكر أيامهما الماضية ومشاعرهما الدافئة؟ كيف سيجبرها على البوح بمشاعرها ورغباتها؟

ظل "حلو" يحاول وضع خطة أثناء الطريق.. إلى أن وصلت السيارة إلى ميدان الرماية في الهرم.. وهنا خطرت فكرة على عقل "حلو".. لماذا لا يستغل الوقت.. ويترجل هنا.. ويستقل سيارة أجرة أخرى إلى المعادي مباشرةً؟؟ توفيرًا لوقت دخول المكروباص إلى الموقف وعدم ضياع مثل هذه الدقائق الثمينة.. خاصة وأن الساعة قد تعدت الرابعة مساءً

وعـلى الفـور.. وضـع فكرتـه موضـع التنفيـذ وهـو يصيـح في السـائق

- الرماية معاك يا هندزة

وفور أن نزل من السيارة.. كانت المفاجآة في انتظاره كالعادة مفاجأة كارثية

*****

ارتفع صوت طرقات على باب مكتب الأستاذ "احمد عبدالنبي" وكيل الوزارة.. مما جعله يقول في هدوء مجيبًا بلهجة آمرة

- إدخُل

انفرج الباب عن "عصام عبدالراضي" وهو يدلف إلى حجرة وكيل الوزارة وعلى وجهه علامات ابتسامة خفيفة.. وأغلق خلفه الباب في إحكام

نظر له الأستاذ "أحمد" في بشاشة وقال

- ازيك يا عصام؟ ها؟؟ ايه أخبار الشغل؟؟ كله تمام؟؟

- كله تمام بفضل توجيهات سعادتك يا استاذنا

- طيب الحمد لله.. خير يا عصام؟

- لا يا فندم خير إن شاء الله.. بس أصل في موضوع كدة عاوز اسأل حضرتك عليه لأن الحكاية بقت شوية مُقلقة

- خير يا عصام في ايه؟؟!

- حلو يا استاذنا.. ما رجعش البيت من إمبارح وتليفونه مش لاقط خالص ومراته مش عارفة عنه حاجة.. فا أنا قلت أجي أسأل حضرتك يمكن يكون عندك إجابة للموضوع ده.. وخصوصًا أنه طالع مأمورية بأوامر سعادتك

- ما رجعش البيت من امبارح؟؟؟ غريبة.. لا طبعًا الموضوع كدة مُقلق جدًا.. انا فعلًا بعته مأمورية إسبوع أنما ليها مواعيد محددة.. لازم يروّح البيت كل يوم طبعًا.. أكيد في حاجة غلط

- يا ستار يا رب.. طيب يا فندم.. يعني.. هو في امكانية نعرف مكان مأمورية حلو فين عشان نسأل عليه أحسن يكون جراله حاجة هناك يا فندم وأحنا مش عارفين؟

- مم.. اه طبعا مفيش مشكلة.. بص.. روح دلوقتي على متحف دار الكتب.. اسأل عن الأستاذ محمد العزازي.. والمفروض شغله مع حلو.. اسأله وطمني ضروري.. ضروري يا عصام

- حاضر يا فندم.. ان شاء الله خير يا استاذنا.. أنا حنزل من هنا حالًا وأطلع على هناك على طول لأن مراته قلقانة عليه جدًا

- والله يا عصام أنا كمان قلقت.. ربنا يستر يا إبني

استأذن "عصام" من السيد "أحمد" وخرج من غرفته مسرعًا ودقات قلبه ترتفع شيئًا فشيئًا.. وعقله لا يكف عن

التفكير.. وهو يغادر مبنى دار الكتب ويستقل سيارته متجهًا إلى المتحف

تُرى أين "حلو" الآن؟ أين هو؟ هل هو بخير؟؟؟

ظلت الأسئلة تتردد في عقله بلا توقف.. وقلبه يزداد انقباضًا.. دقيقة وراء دقيقة

*****

عشرات وعشرات من العاملين في السياحة من أبناء النزلة بجوار الهرم هجموا على "حلو" بمنتهى القوة وهم ينظرون إليه كصيدٍ ثمين

ها هو سائح أبله يرتدي زيًا ابلهًا ويأتي إلى سفح الهرم لكي يلتقط بعض الصور التذكارية فوق الحصان تارة وفوق "الكارتة" تارة أخرى ويتخذ أوضاعًا جنونية إلى جانب جمل جالس يكاد يفتك به من شدة الملل

بكل تأكيد سوف يتصور عشرات الصور وهو يقبل "أبا الهول".. وعشرات الصور الأخرى يحمل فيه الهرمين من قمتهما في يده على طريقة مثلثات الجبن "النستو"

انهم جميعًا يعلمون كم هو أبله هذا السائح.. ولكن "أكل العيش مُر".. ولا بد من التملق والتودد إليه حتى يمكنهم الحصول على اكبر قدر ممكن من النقود التي يحملها.. هم بكل تأكيد تقتلهم

الحيرة أين يحمل نقوده ولكن لا يهم.. في لحظة ما سوف يجردونه منها.. حتى وأن جردوه من ملابسه في سبيل بحثهم عن ارزاقهم

كان الهجوم شنيعًا.. بلا رحمة.. أحاط به بضع عشرات منهم وكل واحد منهم يحاول جذبه في اتجاه وهو لا يكاد يعلم ما يحيط به من شدة الدهشة وشدة الجذب وتداخل الأصوات التي تتصارع عليه وكأنهم ذكور جاموس وحشية تتصارع في موسم التزواج على أنثى كما يحدث في الغابات الاستوائية المتوحشة

تعالت الأصوات.. حيث قال أحدهم

- اتفضل يا مستر.. اتفضل.. "ويل كم".. "ويل كم".. احنا عندنا اجدع احصنة في النزلة.. اللفة بمتين جنيه.. اتفضل.. حنكرمك والله

وقال أخر وهو يجذبه من معصمه

- حضرتك باين عليك بتفهم عربي.. عندي حتت كويسة لقيناها واحنا بنحفر تحت البيت جنب الهرم.. تعالى اتفرج بس وحنتفق.. أنا اللي ببعتلك الرسايل

قال ثالث..

- علاطلاق.. علاطلاق من بيتي ما حد حيركبك على الجمل غيري.. علاطلاق ما حتركب غير جملي

صرخ رابع..

- يا بيه.. تعالى حنطلع بيك الصحرة وحنشربك شاي على الفحم وحنفرجك على حاجات هيلوة.. هيلوة كتير

هتف خامس...

- يا جدعان.. الراجل ده جي مخصوص عشان يشتري برديات من البازار عندنا.. أنا متفق معاه على كدة.. ومديه معاد هنا

وامتدت يده تجذبه من معصمه الأخر.. وهنا.. انهار "حلو" صارخًا

- باااااااس.. باااااس يا عجر.. أنا حبلغ عنكم شرطة السياحة.. أنا جي عشان.. عشان.. عشان عندي عرض تمثيل في المينا هاوس هنا.. أنا مصري زيكم ربنا ياخدكم.. خدلتولي دراعي ان شالله تنقرصوا..

إنفض الجمع من حوله بسرعة مدهشة والكل يندب حظه بعد سماعهم للهجته المصرية الأصيلة التي تدل على أنه شريك في ذات الهم والغم الذي يعيشون فيه.. وأنه بكل تأكيد لا يحمل لهم أي خير ولا أي نقود قد تنفعهم

استغل "حلو" رحيل رجال النزلة.. واستوقف سيارة أجرة قفز داخلها في سرعة.. وهو يطلب من السائق الاتجاه إلى المعادي.. مما جعل السائق يوجه له سؤالًا

- معادي دائري؟؟ ولا نمشي شارع الهرم كورنيش؟؟

حك "حلو" ذقنه بسبابته وهو يفكر قائلًا

- لو اخدناها دائري ممكن الحدوتة تقفل عليا.. ولو اخدناها شارع الهرم ممكن "يوليوس قيصر" شخصيًا يوصل روما قبل ما

أنا أوصل المعادي.. بص.. اتكل على الله واطلع دائري وربنا يفرجها بقى.. وهاتلي راديو مصر والنبي

اومأ السائق برأسه تلبيةً.. وانطلق إلى وجهته التي احتاجت إلى أكثر من ساعتين من الزمن للوصول إليها

قاربت الساعة على السابعة مساءً.. حين طلب "حلو" من السائق التوقف أمام المنزل المكون من أربعة طوابق الذي يسكنه أهل "سعادة" والقريب من منزله بعد أن دفع له أجرته.. نظر إلى نافذة شقه "سعادة" أثناء توجهه إلى مدخل البناية حيث أشارت الإضاءة الخفيفة الصادرة من خلف ستائرها إلى إنهم متواجدين ومجتمعين في ردهة المنزل كالمعتاد

قفز "حلو" درجات السلم في رشاقة وحيوية وفرها له جسده الجديد الممشوق.. حتى وصل إلى الطابق الثاني حيث منزل "سعادة"

وقف "حلو" للحظات لكي يستجمع رباطة جأشه.. وفكر.. كيف سيمُر الموقف؟؟؟ إنه الآن بصدد قرع الباب ومواجهة احتمالات عدّة.. تتنوع بين أن يفتح والد "سعادة" الباب.. وأن تتفتح "سعادة" بنفسها الباب وما أجمله من احتمال.. وخاتمة الاحتمالات وأسوأها على الإطلاق أن تفتح "أم سعادة" الباب.. بكل تأكيد لن تتعرف عليه في شكله الجديد.. ولكنها في كل الأحوال مادة خام للعكننة ومورد أصلي للهم والحَزَن والكآبة.. ولسوف تجعله بكل تأكيد يفكر كثيرًا في محاولة سقيها عُنوة

جُرعة مُركزة من سم الأفاعي الذي تجرعته "كليوباترا" في الماضي السحيق كي تُخلِّد ذكراها معه

وقف "حلو" ليضع خطة سريعة في رأسه.. ويضعها موضع التنفيذ مع امتداد يده نحو جرس الباب ودقه والانتظار للحظات مرت كالدهر وهو يدعو من صميم قلبه أن يكون المجيب "سعادة" بذات نفسها

ولكن القدر لم يكن رحيمًا به.. حين طل عليه من وراء الباب الإحتمال الأسوأ على الإطلاق.. قائلًا

- خير؟ نعم؟! إيه الزفت اللي انت لابسه ده؟ عاوز ايه؟؟

- خير ازاي بقى؟؟ المهم.. مساء الخير يا فندم

قالها "حلو" مع ابتسامة صفراء حاول وضع اكبر قدر ممكن من الهدوء فيها في الوقت الذي تفحصته "أم سعادة" عدة مرات وهي متوجسة منه ومن ملابسه وعضلاته المفتولة المكشوفة وراء رداءه الجلدي الخفيف.. مما جعلها تقول

- عاوز ايه؟؟ انت مين؟؟

- أنا.. أنا.. مندوب شركة منتجات طبية وجاي اعرض على حضراتكم منتج طبي جديد ضد البرد وضد الشعور بالبرد حضرتك وحيساعدكم جامد في فترة الشتا

- مش عاوزين.. الله يسهلك

وصفقت الباب في وجهه بمنتهى العنف حتى أن جدران المنزل ارتجت.. مما جعل "حلو" يستشيط غضبًا.. ويمد يده ليطرق الباب مُجددًا.. لتفتح "أم سعادة" مرة أخرى قائلة

- مش قولنا مش عاوزين؟؟ ربنا يحنن عليك.. ما تبقاش رزيل وغتت

- يعني ينفع كدة؟؟ حضرتك؟؟ اكون واقف بتكلم وحضرتك.. حضرررتك تقفلي الباب في وشي بالشكل ده؟؟ دي أصول برضه؟

- أنت حتعلمني الأدب يا لطخ أنت؟؟؟ قلنا مش عاوزين زفت من اللي بتتنيل تبيعه

- أيوة بس أنا لازم أعرض عليكم المنتج حضرتك.. ولازم أهل البيت كله يشوفوا المنتج.. ويُفضّل جوز حضرتك.. وبنت حضرتك كمان ضروري تشوفه

- نعم؟؟؟ وانت عرفت منين بقى أن شاء الله أن البيت فيه جوزي وبنتي؟؟؟ انت بتراقبنا ولا ايه؟؟؟

فطن "حلو" إلى خطئه الساذج مرة أخرى وبدأت علامات التوتر تظهر على وجهه وهو يحاول إصلاح الموقف قائلًا

- ايه؟؟ لا.. حضرتك.. اقصد يعني.. اقصد أهل البيت عمومًا يتعرفوا على المنتج عشان منتج هام

- فين شنطة المنتجات دي؟؟

- شنطة؟؟ لا ما هو الأول أحنا حابين نعرف رأي أهل البيت من حيث المبدأ وبعدين حاروح أجيب الشنطة وأجي.. ممكن أشوف بنتك بقى؟؟

وقفت "أم سعادة" للحظات تنظر إليه في بلاهة.. ثم قامت بأخر فعل توقع "حلو" في هذه اللحظة أن تُقدم عليه

انقضت على رقبته مُمسكة بها رغم قصرها مقارنة بطوله الفارع.. وهي تصرخ بكل ما أوتيت من قوة..

- حراااااااممااااي

وفي خلال ثوان معدودة.. كان سكان العقار بالكامل يلتفون حوله ممسكين به في إحكام

واتخذ الأمر منحنى جديد.. ومخيف

*****

ظهر الإجهاد على وجه "سعادة" وهي تحاول إلتقاط أنفاسها أثناء حديثها في الهاتف المحمول خلال إتجاهها إلى منزل والديها وعقارب الساعة قد تعدت السابعة مساءً ببضع دقائق وهي تقول

- أيوة يا عصام يعني دلوقتي أنت حتعمل إيه بعد ما قالولك هناك إن الاستاذ عزازي بقاله يومين ما جاش؟؟

جاءت الأجابة عبر الهاتف

- بصي يا سعادة الموضوع ما يطمنش.. وأنا قلقان زيك بالظبط.. انا أخدت عنوان الأستاذ عزازي من بتوع الأمن.. وعرفت منهم أن مراته تعبانة وأكيد ما جاش بسبب الموضوع ده.. وحاروح أشوفه لأنه يمكن يكون يعرف حاجة عن حلو.. بس قولي يا رب

- يا رب يا عصام.. يا رب.. أنا حموت من القلق.. مش قادرة اتلم على اعصابي.. أنا حتى رايحة اشوف بابا واقوله يشوفلي صرفة.. انا خايفة قوي يا عصام

وبدأت "سعادة" تنخرط في بكاء حاد وهي ما زالت على الجهة الأخرى من المحادثة مع "عصام" الذي حاول أن يهدأ من روعها قائلًا

- يا بنتي مالوش لازمة العياط ده.. خير ان شاء الله.. وبعدين تلاقيه عارف انك مش في البيت زي ما لسة حكيالي على مشكلتكم من يومين.. وممكن يكون خلص المأمورية وسافر يومين مثلًا تغيير.. عارف انه مش طبعه.. بس برضه ممكن يكون اتهف في عقله وعملها.. وقافل موبايله عشان كدة.. الرجالة ياما بتعمل يا سعادة.. عادي يعني.. خير ان شاء الله.. بس أنتي خليكي معايا على التليفون.. أول ما أوصل وأعرف حاجة من الاستاذ عزازي حكلمك أبلغك على طول

ردت "سعادة" من بين دموعها المنسالة على وجنتيها

- يا ريت يا عصام ربنا يخليك ما تتأخر.. أي حاجة.. أي خبر بس أطمن أنه كويس ومش مهم أعرف هو فين.. المهم بس تتأكد أنه كويس

انهت "سعادة" المكالمة بعد وعد "عصام" ببذل كل جهد ممكن.. وكانت قد وصلت بالفعل إلى منزل والديها.. وما أن دلفت إلى مدخل العقار حتى تفاجأت بسكان المنزل وهم يهبطون الدرج مُمسكين بـ "حلو" في هيئة "انطونيو" وهم يقتادونه إلى قسم الشرطة ومن خلفهم "أم سعادة" التي لا تتوقف عن الصراخ بكل ما اوتيت من قوة قائلة

- حراااامي.. حراااامي.. حراامي يا "سعادة" كان جي يدبحنا أنا وأبوكي.. حراامي بيراقبنا من شهر وعارف اننا قاعدين لوحدنا وجي يدبحنا يا ختاااااي.. إلحقووونا يا نااس.. إلحقوونا يا رجاالة

- في إيه يا ماما؟!!!

- اهو زي ما انتي شايفة.. حراامي ربنا نجانا منه.. حنوديه القسم حالًا

وقف "حلو" يحاول التملص من الأيادي العديدة التي احاطت به إحاطة السوار للمعصم وهو ينظر إلى "سعادة" في وله وعشق يتقاطر من عينيه.. ورغم إلتفاف عشرات الأشخاص حوله.. إلا أن ذلك لم يمنعه من النظر إلى "سعادة" والابتسام بحب قائلًا

- استاذة سعادة.. إزيك؟

صرخت "أم سعادة" صرخة فجرت الموقف قائلة

- انت كمان عارف اسم بنتي؟؟؟ يا لهوتاااااااااااااي.. الحقونا يا أهل هووووو.. ده سيريال كيلر.. بشوفهم في الام بي سي اكشن.. ده طلع مش حراااااامي يا ختاااااااي.. ده طلع سفاح قتّال قُتلة

نظر "حلو" لها وعض على شفتيه قائلًا

- أهٌ لو كان سيفي ما زال في خصري يا ولية يا بومة إنتي.. ولم يكن ذلك الجزار قد سلبني إياه مقابل حفنة من المال.. تالله لكنت شندلتك شندلة أكيليس لهيكتور في ملحمة الإلياذة

قفزت "أم سعادة" من فوق الدرج لتتعلق في رقبته وهي تصرخ في جنون

- سيف؟؟ بتقول سيف؟؟ سامعين؟؟ حيدبحني.. ويدبح جوزي.. ويدبح بنتي.. سامعين قتّال القُتلة بيقول إيه؟؟ يا ختاااااااااااااااي

ارتفعت الهمهمة الغاضبة بين المحيطين بجسد "حلو".. في اللحظة التي عاد هو للنظر مرة أخرى إلى "سعادة" في عشق قائلًا بلهجة مسرحية قوية رومانسية ألجمت ألسنة الجميع

- أنا أنطونيو وأنطونيو أنا ما لروحِيْنا عن الحُبِّ غنى

غنّنا في الشوْقِ أو غنْ بنا نحنُ في الحبِّ حديثُ بَعْدنا

الحياةُ الحُبُّ والحبُّ الحياة ومن سرْحاتها سرُّ النواهْ
وعلى صحرائِها مرّت يداهْ فجَرَتْ ماءٌ وظلا وجنى
نحنُ شعرُ وأغانيٌّ غَدا بهوانا راكبُ البيدِ حـــــدا
وبِنا الملّاحُ في اليمّ شدا وبكى الطّيرُ وغنّى مَوْهِـنا
من يكُنْ في الحُبِّ ضحّى بالكَرَى أو بِمسفُوحٍ من الجمعِ جرى
نحنُ قربنا له مُلكَ الثرى ولقينا الموتَ فيه هيّـــــــنا
أنا أنطونيو وأنطونيو أنا ما لروحِيْنا عن الحُبِّ غِـنى

صمت تام أصاب الجميع.. تيبس كاملٌ وكأن المشهد قد تحول إلى صورة ثابتة.. وقف الجميع فاغرٌ فاه وهو ينظر إلى "حلو" الذي تركز بصره على حبيبته "سعادة".. وهي تنظر إليه في ذهول محاولة استيعاب وقع تلك الكلمات عليها.. ثم ما لبث أن قطع الصمت صرخة أم "سعادة" الهادرة

- يا خـرااااااابااااااااي.. مخبـووول.. بيعمـل مجنـون عشـان نسيبه.. امسـكووووه.. بينـا عـلى القسـم يا قتـّال القُتـلة يا سـفاااح

وقالت محدثة "سعادة" في لهجة آمرة

- إطلعي انتي لأبوكي فوق عشان سـايباه نايم والسـباخ على البوتجـاز بـدل مـا الشـقة تولـع.. صحيـه وحصلـوني عـلى القسـم وأنا حاسـبق مع الجـيران يا ختـاااااااااااااي

أفاق الناس على صرختها.. وبدأوا في سحب "حلو" بجسده القوي خروجًا من البيت في الوقت الذي لم يكن "حلو" مُهتمًا على الاطلاق إلا بالنظر إلى "سعادة" معطيًا إياها أفضل ابتساماته الوسيمة ونظراته العاطفية وهو يقول لها في صوت مرتفع أثناء ابتعاده عن باب البيت

- العمرُ لا يُمكن أن يُذبل جمالك أبدًا

وابتعدت الحشود وهي تقود "حلو" نحو قسم الشرطة.. بينما وقفت "سعادة".. وعلامات الذهول والحيرة ترتسم بأقصى صورها على وجهها.. وقلبها

قلبها الذي خفق كما لم يخفق بهذه الطريقة إلا مع شخص واحد فقط.. شخص واحد يستطيع أن يجعلها تشعر بمثل هذا الشعور

و لكن كيف وهو الآن أبعد ما يكون عن هذا المكان؟

لم تعلم أن هذا الشخص.. كان منذ لحظات قريبٌ منها

اقرب من أي وقت مضى

*****

- هو جرى إيه في أم البلد دي؟؟؟

قالها الضابط "عمار" الجالس من وراء مكتبه وهو يكاد يحطم المكتب بقبضته وأمامه وقف عدد كبير من سكان العمارة يتوسطهم "حلو" في زي وهيئة "انطونيو".. وأكمل قائلًا

- إمبارح واحد لابس أحمر في قلب القسم وبعدين يهرب.. وأتحول انا للتحقيق.. وانهاردة واحد جايلي بجيبة جلد في عز الشتا والناس بيقولوا عليه قتّال قُتلة؟؟.. انتوا إيه؟؟؟ جرى إيه فيكي يا بللللد؟؟؟ المعادي باااظت خلاااص؟!!

كادت عروق الضابط "عمار" تنفجر من فرط الإنفعال.. بينما وقف "حلو" بقامة ممشوقة وهو ينظر إليه في توجس ولا يكاد يقوى على رفع عينيه فيه.. إلى أن سأله الضابط مرة أخرى

- إنت مين يالا؟؟ وحكايتك إيه؟؟؟ ولابس كدة ليه؟؟؟ انطق عشان أنا على أخري.. بقالي أكتر من تلات ساعات عمال أسمع في الولية دي وباقي الناس اللي معاها ومش فاهم حاجة خاااااالص؟؟؟ انطق عشان ماخليش ليلتك سودة

تنحنح "حلو" ونظر بجانب عينيه إلى عقارب الساعة في يد أحد الواقفين ليجدها قد تعدت الحادية عشر مساءً ببضع دقائق.. مما جعله يفكر في سرعة ويبدأ في محاولة كسب اكثر وقت ممكن قائلًا

- طيب.. هو حضرتك ما بتشبهش عليا؟؟؟

نظر الضابط إليه وهو يُقلب في وجهه ثم قال في عنف

- انا ما شفتش السحنة دي قبل كدة.. ولا اللبس ده.. ومش عاوز غير أنك تنطق بعد كل الهري اللي قالوه ده وتخلصني.. انت مين؟؟؟ انطق

تدخلت "أم سعادة" بحدة وهي تصرخ

- أيوة.. أيوة.. ده شبه الراجل اللي بيطلع في فيلم "هالووين" اللي بيقتل الناس بالسكينة في العيد الكبير يا سعادة الباشا.. ده سفاح أصلي وباين عليه أهو.. ضخم الجثة وعريض المنكفين

صرخ الضابط "عمار" في جنون

- بسسسس يا وليه إنتي.. من ساعة ما شفتك إمبارح وانتي ما بطلتيش كلام وأنا مش فاهم حاجة.. مندوب مبيعات أيه؟ وسيريال كيلر إيه؟ وسيف أيه؟ وبيراقبكم إزاي؟ وفين؟ وأمتى؟؟ بس.. باااااس.. إنتي إيه كل يوم حتجرجيلي واحد من الشارع وتيجي على هنا؟؟ إيه؟؟ ما بتسكتيش؟ ما بتزهقيش؟؟

قال "حلو" في سرعة

- طول عمرها كدة والله سعادتك.. أما جوزها قرب يفقد النطق.. وبقى بيشاور بس دلوقتي

صرخت "أم سعادة"

- أهو.. أهو اعترف.. اهو عرف أن جوزي مش طايقني.. طب عرف منين بقى بالذمة؟؟؟ بيراقبنا بقولك سعادتك

صرخ الضابط مرة أخرى

- باااااااااس.. اخرسووووا.. قسمًا بشرفي.. قسمًا بشرفي.. إللى حينطق من غير ما أوجه ليه سؤال لحدخله الحبس للصبح.. أما يبانله صحاب.. ده مفيش كلب فيكم معاه بطاقة يا نجر.. حتى الولية المكعبلة دي

صمت ساد في الغرفة لأول مرة منذ ثلاث ساعات.. مما جعل الضابط "عمار" يأخذ نفسًا عميقًا ويُطلقه في صورة زفرة حارة غاضبة قائلًا لـ "حلو"

- إشجيني.. فهمني يا.. يا.. يا ترى اسم فخامتك إيه؟

- أنا؟؟ مم.. أنا.. أنا اسمي انطونيوس

- ثلاثي يا روح أمك

- روح أمي إسمي.. مارك أنطونيوس.. أو ماركس أنطونيو.. وممكن تمشيها مرقص انطونيوس

- لا يا راجل؟؟؟ وهو ده بقى اسم ثلاثي؟؟؟!!

- لا بس أنا مش حافظ غير الأسمين دول بصراحة.. جده مش مشهور قوي

- جد مين؟؟

- انطونيو

- انطونيو مين؟؟؟

- انطونيو صاحب اوكتافيوس اللي كانوا في جيش يوليوس قيصر قبل ما يغزُه بروطس بالسكينة في ضهره

بدأ وجه الضابط في الأحمرار.. وبدأت عيناه وكأنهما شعلة منتقاة من أحجار الحجيم.. وبدى على ملامحه غضب مُتصاعد جعل الجميع بما فيهم "حلو" يتراجعون لخطوات قليلة خشية إنفجاره فعليًا وحرفيًا...

ولكن طرقة على باب المكتب قطعت لحظات الغضب حين اعقبها دخول أحد المخبرين إلى داخل المكتب مؤديًا التحية العسكرية للضابط وهو يقول

- برة في واحدة اسمها الاستاذة سعادة و معاها أبوها يا باشا

صرخت "أم سعادة" في فرح

- بنتي حبيبتي.. جاية تلحق أمها من السفاح المجرم السريال كيلر.. دخلوها بسرعة

صرخ الضابط "عمار" في حدة

- بس يا وليه انتي.. قلت مش عاوز نفس

ثم نظر إلى المخبر قائلًا

- دخلهم خلينا نخلص من الليلة المبهوَقة دي

وبالفعل دخلت "سعادة" ووالدها إلى حجرة الضابط الذي استقبلها قائلًا

- مساء الخير يا استاذة سعادة.. يا ريت نخلص من الموضوع ده بسرعة لأن امبارح مكانش يوم لطيف وأنا بتشائم بصراحة

- متأسفين حضرتك على الازعاج ده.. إحنا مطلوب مننا إيه؟

- بطاقة الست الوالدة عشان نعمل محضر ونقفله

مدت "سعادة" يدها بالبطاقة إلى الضابط الذي تلقفها دون أن يتفحصها ثم نظر إلى "حلو" قائلًا

- بطاقة معاليك وكارنيه شركة المبيعات خلينا نخلص يا انطونيو بيه

تجاهله "حلو" تمامًا وهو يتطلع إلى "سعادة" قائلًا

- هو حضرتك يا استاذة سعادة زعلتي من كام بيت الشعر اللي قلتهم لحضرتك؟

احمر وجه "سعادة" وتوترت ملامحها قبل أن تجيب

- لا وأنا حزعل ليه يعني؟ أهو كلام

ابتسم "حلو" قائلًا

- بس أكيد الكلام الرومانسي العاطفي له تأثير كويس على الستات.. وأكيد جوز حضرتك مُقصّر في التعبير بالكلام عن مشاعره زيه زي كل الرجالة المتجوزين

تدخلت "أم سعادة" قائلة

- انت كمان مراقب جوزها؟؟ إلهى يوعدك بعشماوي إنت وهو في حبل واحد

قالت "سعادة" في حدة

- ماماا!!! أرجوكي قولتلك مليون مرة مش كدة!!!

قاطعها "حلو" قائلًا

- واضح أني كان عندي حق، وفي تقصير.. مش كدة؟

ازداد وجه "سعادة" احمرارًا ولكن هذا لم يمنعها من مواصلة الكلام قائلة في غضب

- على الرغم من إنها حاجة ما تخصكش.. إنما لازم تفهم إن العواطف والرومانسية مش مجرد كلام بيتقال ويتردد وخلاص.. نظرة العين للست وهي بتناول الراجل كوباية الشاي ممكن تغرقها رومانسية.. لمسته ايديها وهي بتناوله كيس الزبالة الصبح مع ابتسامة برضه رومانسية.. صبه للمية من الازازة في كوباية و

مناولته ليها وهما على الغدا مع بعض احلى رومانسية.. الحكاية مش دايمًا شِعر وورد وقمر وتنهيد.. اللي بيحب بيعيش حياته بضحكة واحدة.. وابتسامة ما بتتغيرش.. لأن قلبه اخد من الدنيا كل اللي هو عاوزه.. شريك حياته

تحجر "حلو" وهو يستمع إلى كلمات "سعادة" التي افقدته القدرة على النطق.. شعر بحنين شديد لها.. شعر برغبة عارمة في ضمها إلى صدره فورًا.. قفز العشق والوله من قلب نظراته لها.. حتى أنها لاحظت هذه النظرات فتوترت خلجاتها بشدة مع

استقرار إحمرار وجهها، وقطع حبل الصمت مرة أخرى أمها وهي تصرخ قائلة

- مجنووون يا حضرة الضابط.. سيريال كيلر بقولك..

هب الضابط "عمار" من مجلسه في حركة حادة مُخاطبًا "حلو" قائلًا

- انت حتعملي صالون ثقافي هنا يا روح أمك؟؟ إطلع بالبطاقة خليني اقفل المحضر وأقفل الليلة السودة دي على دماغتكم

ولكن "حلو" كان لا يزال ينظر إلى "سعادة" في عشق, غير عابئ بكل من يحيطون به أو بصرخات الضابط الجنونية.. مما دفع الضابط إلى ضغط الزر فوق مكتبه ليستدعي المخبر الذي دلف إلى حجرته على الفور بصحبة مخبر أخر.. قاموا بأداء التحية العسكرية إلى الضابط الذي لم يبادلهما التحية حيث قال في غضب

- فتشوا الحيوان ده عشان عامل أخرس.. وطلعولي كل اللي معاه

امتدت يد المخبران ناحية "حلو" الذي تراجع في حركة حادة وهو يدفع المخبرين صائحًا

- محدش يمد إيده عليّ.. أنا أصلًا معايش حاجة ومعايش جيوب أشيل فيها حاجة.. مفيش بس غير خمسة وسبعين جنيه حاططهم في الصديري عشان كنت راكب بيهم.. أهم

ومد "حلو" يده داخل صدره وأخرج النقود ووضعها على مكتب الضابط الذي نظر إليه بغضب قائلًا

- يا حلاوة يا حلاوة.. حاطط الفلوس في صدرك؟؟ ولابس جيبة جلد؟؟؟ وكت من فوق؟؟ ومش عاوز تقول اسمك؟؟ ومش عاوز تطلع البطاقة؟؟؟ ليلتك طين ان شاء الله.. فتشووووه بالعافية وطلعولي اللي معاه

جاءت انقضاضة المخبرين على "حلو" مُفاجئة تمامًا.. ولكنه بلا وعي أو إدراك.. إستقبل الانقضاضة بحركة دفاع عن النفس اعطته انطباعًا انه مُدرب عليها فور أن وجد المخبرين قد انطرحا أرضا في عنف.. وهنا تجمد الموقف للحظات قليلة.. قبل أن تفجره "أم سعادة" بإنقضاضة على ظهر "حلو" متعلقة بعنقه من الخلف وهي تصرخ في جنون

- حرااااااامي.. حرااااااامي.. سفاااااااح

اخذ "حلو" يقاومها حتى سقطت أرضًا في عنف.. ولكن الجيران بدأوا في محاولة الإنقضاض على "حلو" مُدعمين بالمخبرين والضابط "عمار".. مما جعل "حلو" يهرب إلى طرف الحجرة ويعتلي أحد كراسيها ويقف فوقها مُراقبًا عقارب الساعة التي اقتربت من الثانية عشر، صارخًا في لهجة مسرحية مجنونة وهو يشير إلى "سعادة" قائلًا

- حبيبتي يا كليوباترا؟ تعالي شوفي النصيبة اللي أنا فيها.. ها أنا ذا محاطٌ بالأوغاد من كل جانب.. وخاصةً رأس الأفعى السامة اللي قارفاني من يوم ما عرفتك.. أين أنتي يا كليوباتراااااا؟؟؟

صرخت "أم سعادة" في جنون وهي تقول

- المجنون أبن المجنونة بينده على علبة سجاير يا حضرة الظاااابط.. اقتلووه بيعمل مجنوووون

صرخ "حلو" قائلًا

- يا ايتها البومة اللعينة.. ما هي إلا لحظات وينتهي زمني.. داعيًا عليكي بخزق العين والنني

وقبل أن تنطق "ام سعادة" بكلمة واحدة.. تغيرت الأشكال من حوله وتداخلت وامتزجت مرة أخرى ببعضها البعض.. وبدأت الألوان في السطوع مرة أخرى.. لمدة دقيقة أو أقل.. حتى بدأت الأمور تعود إلى طبيعتها مرة اخرى.. ولكن.. دون أن يكون لـ "حلو" أي أثر.. على الإطلاق

مرة أخرى...

*****

- يعني إيه يا عصام معرفتش تقابل الحج عزازي؟

كان هذا هو سؤال سعادة في استنكار واضح أثناء طريق عودتها من القسم بصحبة أمها وأبيها وهي تخاطب "عصام" عبر الهاتف.. كان "عصام" في طريقه إلى منزله بعد نزوله من بيت الحج "عزازي" ومعرفة حالته الصحية من ابنته "سلمى" وزوجته وأنه طريح الفراش في المستشفي منذ يومين كاملين ويحتاج إلى راحة تامة.. مما دفع "سعادة" إلى الإنفعال رغمًا عنها حيث شعرت أنها بصدد فقد أخر طرف خيط يدخل الطمأنينة على قلبها بخصوص أي معلومة عن مكان تواجد "حلو" الذي انقطعت أخباره تمامًا.. وأعقبت سؤالها بسؤال أخر

- يعني يا عصام دلوقتي مفيش طريقة نعرف من الحج عزازي ده أخر مرة شاف فيها حلو كانت إمتى؟؟

- بصي يا سعادة.. بنته قالتلي أنه ابتدى يستجيب للعلاج اللي بياخده.. وان الدكتور طمنهم أنه متوقّع يستعيد وعيه خلال اربعة وعشرين ساعة إن شاء الله بعد ما نتايج التحاليل اتحسنت كتير

- طيب يا عصام دلوقتي انت حتروح تاني بكرة ولا أروح أنا ؟ ؟

- لا أنا ولا أنتي.. أنا اخدت نمرة بنته سلمى.. وأول ما حيفوق حتسأله بعد ما فهمتها أن الموضوع مقلق فعلًا.. وحتكلمنى فورًا.. وانا كدة كدة حكلمها بكرة الصبح اسأل تاني.. وحسأل كل ساعة لحد ما نعرف هل الراجل عنده معلومة ولا لأ

توترت "سعادة" بشدة وهي تقترب من منزلها وقالت

- يعني أنا حافضل كدة لحد بكرة؟؟ ما اعرفش عنه حاجة؟؟؟ أنا حموت من القلق يا عصام.. حموت

وبدأت نبرتها تدل على أنها سوف تدخل في نوبة بكاء مرة أخرى.. مما جعل "عصام" يبادرها بقوله

- يا ستي الصبر.. من هنا لبكرة الصبح مش كتير.. الساعة عدت تلاتة صباحًا.. ده أنا فضلت مرابط قصاد باب البيت عندهم مع البواب لحد ما أهله جم من المستشفي يا دوب من نص ساعة.. بصي.. كام ساعة زمن ونعرف راسنا من رجلينا.. وان شاء الله خير.. اطمني بس وادعي ربنا.. ياللا خشي نامي.. تصبحي على خير

انهت "سعادة" المكالمة والدموع تكاد تتفجر من مُقلتيها.. ورفعت عينيها نحو السماء قائلة بكل خشوع وأمل ورجاء

- يااااااا رب

وقلبها يخفق في منهى العنف

*****

ألوانٌ.. ألوانٌ.. ألوان

مرة أخرى وجد "حلو" نفسه محاصرٌ بالألوان لدقائق قليلة.. إنتهت سريعًا عندما خفتت تدريجيًا ووجد نفسه واقفًا من جديد داخل البهو الكبير المُمتلأ بالكتب

ليطالع صفحات الكتاب العتيق الذي اتخذ قمة تلٍ من الكتب مكانًا.. دون أن تصدر عنه أي لفظة أو حركة

إقترب "حلو" من الكتاب بعد أن عاد إلى هيئته الأصلية قائلًا

- والنبي إنت مش مكسوف من نفسك؟؟ مش ناوي ترحم اللي جابوني من عمايلك السودة دي؟؟ يعني أنا لو مسكتك فرتكت جلدتك دلوقتي تفتكر أبقى غلطان؟

صدر الصوت من قلب الكتاب قائلًا

- يا حلو قُلتلك بصراحة انت اللي حظك وحش

- حظ ايه يا كتاب العجزة انت؟ ملبسني جيبة جلد في نوّة اسكندرية وتقولي حظ؟؟ باعتني من غير بوك فلوس فيه خمسة جنيه فضة حتى على بعض وتقولي حظ؟؟ انت قاصد تذلني يا حليمو.. قول أه.. قوول..

- يا ابني والله أبدًا.. هي ظروف الحواديت كدة.. الأبطال ما بيتخلقوش من الفراغ يا "حلو".. وكل واحد فيهم بيبذل مجهود كبير عشان يسعد اللي حواليه

- ايوة ايوة فعلًا.. انا كنت ببذل مجهود كبير أول مرة أني أهرب من العار ومن فرج.. والمرة التانية كان في عمارة بحالها عاوزة تفتشني تفتيش ذاتي وأنا لابس جيبة على اللحم.. وكله كوم والولية الحربايا ام سعادة.. يا ليت كان سيفي معي.. يا خسااااارة.. عمومًا.. انا مش لاعب.. كدة شكرًا.. لاني بصراحة داخل على نزلة شُعبية حادة احتمال تقلب معايا بسُل.. لانك أكيد المرة الجاية حتبعتني الاسكيمو بملاية

- يا ابني أنت اللي بتختار الهدف.. وأنا ما عليا إلا اني اسخرلك شخصية الحدوتة.. ده أنطونيو ده كان أكبر قائد قوي رومانسي في التاريخ.. ده باع الدنيا كلها عشان حبيبته.. غلطش أنا؟؟

- غلطش؟؟؟ روح يا شيخ ربنا ينتقم منك ده أنا كعوب رجليا شققت من الساقعة والمشي في برك المطر.. البرد دخل في عضمي بهدلني.. مش حاسس بركبي.. وعصعوصتي مملة تمامًا

- خلاص خلاص.. المرة الجاية نعمل حساب الجو.. والمواصلات.. والفلوس.. نشوفلك حاجة متكاملة

- جو ومواصلات وفلوس ونشوفلك؟؟ انت بتكلمني أكنك بتكلمني عن شقق اسكان الشباب!! انت كتاب ولا كراسة شروط بس عشان أفهم؟ إيه الاستفزاز ده؟!!!

- أنا بس عاوز اساعدك.. بس تعرف.. المرة دي كان في تطور ملحوظ.. خدت بالك من وش سعادة لما قلتلها الشعر والكلمتين الحلوين بتوعك؟؟

نظر له "حلو" في اندهاش وهو يقول مستنكرًا

- هو أنا لحقت يا حليمو؟ ده أنا اتقفشت في بير السلم قفشة محصل الكهربا اللي جي يحصل فواتير عمارة بيقطع فيها النور تسع ساعات في اليوم.. وكان منظري يقرف الكلب الاجرب.. بس تعرف برضه؟.. انا شفت في عنيها نظرة في القسم.. ما شُفتهاش من زمان.. من سنين.. نظرة الخضة اللي كنت بشوفها أما كنت بقولها كلمة حلوة مش متوقعاها.. نظرة الذهول الغير منتظر.. كان شكلها حلو قوي فعلًا يا حليمو

صدر صوت "حليمو" فخورًا من قلب الكتاب قائلًا

- مش قلتلك؟؟ انا الحواديت بتاعتي ما تخيبش ابدًا

نظر "حلو" إلى الكتاب في بلاهة وقال

- والنبي تتوكس.. وتشوفلنا حدوتة عدلة يا ريت ما تنتهيش بجريمة قتل أو دخول رعاية مركزة من بوادر مرض إلتهاب المفاصل اللي حيجيلي من البرد

- طيب.. شوف انت المرّة دي تحب تعمل إيه؟.. إيه اللي ناقصلك في حياتك مع سعادة

اخذ "حلو" يدور بعض الوقت في مكانه وهو يحاول جاهدًا البحث عن أسباب فتور العلاقة بينه وبين حبيبته "سعادة".. لقد افتقد خلال زواجه للكثير والكثير من المشاعر.. ولكنه الآن لا يعلم أي تلك المشاعر اكثرها تأثيرًا.. لا يعلم ما يقدمه لها.. حاول أن يقدم لها السعادة لكي يتفهم رأيها.. حاول أن يقدم لها الرومانسية حتى يتأكد من مشاعرها.. فماذا يقدم لها بعد؟؟

هل يقدم لها المال؟؟؟ أنه يعلم تمامًا انها غير مهتمة بالمال.. لقد تزوجته وهو في حالة مادية بسيطة.. وعاشت سنوات عمرها لم تشتك ولم تطلب.. "سعادة" ليس لها مطالب مادية ولن تسعدها الأموال

اذًا.. ماذا يقدم لها حتى يدخل المشاعر مرة أخرى إلى قلبها؟.. كيف يعوّض عليها سنوات الفتور التي مرت عليها؟

لا بد من أن يختار لها شعورًا جديدًا لم تختبره منذ زواجهما الذي دام خمس سنوات.. يجب أن يختار لها تجربة لم تمر بها معه من قبل

ظل السؤال يتردد بداخله.. ماذا يختار لها؟؟؟

- المغامرة

نطق بها "حلو" وهو ينظر إلى الفراغ مشدوهًا.. مما جعل "حليمو" يسأله من قلب الكتاب في اهتمام

- مغامرة؟؟ مغامرة إيه؟؟ وضحلي

نظر "حلو" إلى صفحات الكتاب قائلًا

- أنا من يوم ما اتجوزتها وأحنا عاملين زي البط المستكوفي.. نصحى الصبح.. نتشمس.. ونرجع أخر الليل على العشة نتدفى.. مفيش تجديد في حياتنا خالص.. لا خروج ولا سهر ولا مواقف نفتكرها.. مفيش إثارة خالص في حياتنا.. وايامنا كلها ماشية برتابة واحدة ما بتتغيرش

تقلبت صفحات الكتاب في هدوء وصدر صوت "حليمو" قائلًا

- اممم.. مفهوم.. بس برضه أنا محتاج توضيح أكتر عشان بترجع بعد كدة تقولي أني بدبسك

- بص يا حليمو.. انا محتاج اكون مُغامر.. اخطف سعادة خطف كدة.. واخليها تشوف في يوم واحد اللي ما شافتوش بقالها سنين طويلة

لمعت صفحات الكتاب للحظة وقال "حليمو"

- تصدق بالله؟؟

- لا إله إلا الله

- والله انت ابن حلال

- الله يكرمك.. اشمعنى ؟

- أنا دلوقتي بس عرفت أنت حتكون مين

- إرحم أهلي

- لا لا ما تقلاقش.. لا حوديك أوروبا ولا امريكا.. أنا حجيبلك حدوتة من هنا.. من عندنا.. شبهنا

- شبهنا؟؟؟ بقولك مغامرة تقولي شبهنا.. إعتقني لوجه الله

- اصبر بس على رزقك.. إجهز للمغامرة.. الساعة خلاص عدت اتنين صباحًا

- طب بس فهمني حتسخطني ايه المرة دي؟؟ ما بقتش نااافع

- يا ابني بلاش غلبة.. إجهز

وارتجت جدران المكان من جديد وبدأت وريقات الكتاب في التقلب بسرعة شديدة وبدأ الصوت الجهور في ترديد ذات الجملة

- كل وقت.. ولـ...

قاطعه "حلو" بصرخة هادرة

- استتتتتتتتتتنى

- ايه؟؟ في ايه؟؟؟

- احب على هوامشك يا شيخ.. أي حاجة بهدوم.. عادية.. لبس بني أدمين.. لا أحمر ولا مايكرو ولا جلد تمساح الله يستر عرضك

- اطمن.. وإجهز..

وعاد الصوت الجهور مرة أخرى الى ترديد الكلمات

- كل وقت.. وله حدوتة.. بس المهم.. تكون مظبوطة.

وسطعت الألوان من جديد..

واختفي "حلو" مرة أخرى..

في قلب حدوتة جديدة.. وأخيرة...

*****

ذات التجربة التي يمر بها "حلو" في الانطلاق إلى كل حدوتة وحكاية جديدة.. نفس الألون ونفس الشعور بفقدان القدرة على تحديد الزمان والمكان لعدة دقائق.. يعقبها إنقشاع تام لضباب الألوان المحيط به من كل صوب.. ليجد نفسه دائمًا في مكان جديد

وهذه المرة.. وجد "حلو" نفسه واقفًا في أكثر مكان غرابة.. سفينة كبيرة عتيقة مُظلمة.. في قلب الليل.. لا يكاد سطحها يظهر إلا عن طريق النور المنبعث من بعض القناديل القديمة التي تُضاء بالزيت.. كانت السفينة تسير وسط المياه بتؤودة شديدة

تحسس "حلو" ملابسه ليجدها ملابسًا قطنية فضفاضة دافئة.. يُزين خصره قطعة من القماش الطويلة المُلتفة عددًا من المرات حول وسطه.. وعلى رأسه كانت عمامة قطنية ضخمة.. امتدت يده تتحسس وجهه فوجد شاربا كثًا.. ولحية خفيفة

شعر بثقل ما في أذنيه.. فامتدت يداه تتحسسها فاصطدمت بقرطين معدنيين مستديرين كبيرين متدليين منهما مما جعل "حلو" يقول مُتعجبًا

- يعنى هو أنت إن ما كنتش تلبسني أحمر.. أو عريان بجيبة على اللحم.. تقوم ملبسني حلق؟؟؟ كتاب حواديتك كل أبطالها شمال.. ولا عمرك حتفلح

دقق "حلو" في الشاطئ القريب من حوله.. ثم ما لبث أن ارتفع حاجبيه اندهاشًا وقال

- إيه ده؟؟؟ ده احنا في النيل؟؟؟ ده مصنع اسمنت طُرة أهو!!! طيب وإيه بقى السفينة دي؟؟ ويا ترى مين ابو حلق ده اللي راكب سفينة ضخمة كدة؟؟ عامل فيا إيه المرة دي يا حليمو؟؟؟ استر يا رب

بدأ "حلو" يتلفت حوله ليشاهد سطح السفينة الكبيرة وأشرعتها الممتدة لمسافة عالية.. إنها لا تشبه أي من المراكب الشراعية التي تسير في النيل.. وفي مؤخرتها كانت حجرة خشبية أسفل قمرة قيادتها المرتفعة عبر درج صاعد.. كُتب عليها بحروف عربية خالصة وبخط كبير منقوش على أخشابها

" سفينة السندباد البحري "

صاح "حلو" مُستنكرًا

- سندباد؟؟؟ سندبااد يا حليمو؟؟ حرام والله.. حرااام.. اقولك مُغامرات عاطفية أنا والمدام تقوم تخليني سندباد؟؟؟ يعني المفروض أعمل إيه أنا دلوقتي؟؟؟ أتصرف أزاي؟؟ افسحها في بُق رُخ؟؟ ولا اجري بيها قصاد تنين براسين؟؟؟ اوف بقى.. اووووف

اخذ "حلو" يدور فوق متن السفينة وهو يفكر كيف يتصرف.. بينما التيار النهري يسير بالسفينة بهدوء شديد تجاه الشمال.. إلى أن قال "حلو" مُحدثًا نفسه

- هممم.. طيب.. أنا مش عارف بصراحة حأقدر أعمل إيه إنما المهم دلوقتي أوصل لسعادة.. عمومًا.. الفجر أهو بيشقشق وعـ...

قطع حديثه مع نفسه صوت سرينة الشرطة النهرية وهي تقترب من السفينة في سرعة ويكاد ضوء كشافاتها يُجيلُ الليل نهارًا لتستكشف طبع السفينة مع صوت صادر من مذياع عالٍ يقول

- إرمي المرسى وإثبت للتفتيش وأظهار أوراق الملكية وتصاريح النقل

لطم "حلو" خديه وهو يحاول الأختباء و الإختفاء من فوق متن السفينة هنا أو هناك قائلًا

- ياادي المصيبة.. ياااادي المصيبة.. هو أنا مكتوبلي في كل الحواديت يطلعلي بوليس؟؟؟ هي وزارة الداخلية فتحت فرع حواديت؟؟؟ ياادي النصيبة.. وبضاعة ايه؟؟ يا حومتي!! أنا عارف حظي الهباب.. اكيد دي حتكون أول مرة في حياة السندباد يتاجر في المخدرات.. أنا عارف حظي الإسود.. يوريني فيك يووووووووووووم يا حليمو خُد من قلبي وصُر

بدأت دورية الشرطة النهرية المشلة في أربع أفراد من الاقتراب من السفينة والالتحام بها.. والصعود إلى متنها محملة بالسلاح.. واتجهوا فورًا إلى "حلو" وأحاطوا به وقال قائدهم في خشونة

- اوراقك بسرعة

تحسس "حلو" ملابسه في توتر وهو لا يعرف ماذا يجيب أو ماذا يقدم.. ثم ما لبث أن ابتسم ابتسامةً بلهاء إلى قائد المجموعة وهو يشير إليه بكفيه مع كتفيه بما يعني أنه لا يملك أوراقًا.. مما جعل القائد يقول في غضب

- ماشي من غير ورق؟؟ ليلتك سودة أن شاء الله.. ويا ترى بقى محمل ايه بضاعة؟؟؟ انت شغال في الممنوع يالا؟؟؟

نظر له "حلو" بذات الابتسامة البلهاء.. وهو لا يجيب دليلًا على أنه لا يعلم أي شيء عن محتوى السفينة.. وهو يدعوا في سريرته ألا يكون محتواها يحمل أي كوارث

انتشر المرافقون لدورية الشرطة النهرية داخل السفينة بإشارة من يد القائد ودخلوا إلى قلبها للحظات ثم عادوا وقال أحدهم

- تمام يا فندم.. محملة اتواب قماش يا فندم

نظر القائد إلى "حلو" بتشكك ثم قال

- قماش؟؟ وبتنقله بالليل؟؟؟ مع انها غريبة شوية انما ماشي.. فين أوراق البضاعة دي؟؟

زفر "حلو" في راحة.. ونظر له بعد أن عادت الدماء إلى الجريان عبر عروقه من جديد وقال في سرعة

- والله سعادتك.. شوف والله.. الراجل اللي معاه الورق اخد الفلوكة ونزل البر يجيب أكل وكدة سعادتك

نظر له القائد في تشكك وهو يقول

- بس دي مخالفة كبيرة.. النقل النهري له مواعيد.. ومفيش معاك ورق للمركب.. ولا ورق للبضاعة.. والمركب اساسًا شكلها مش ولا بُد ومش طبيعية كدة وفيها حاجة غلط؟؟؟ دي لازم لها تصريح مخصوص

ازدرد "حلو" لعابه في صعوبة وهو يقول للقائد مُحاولًا الخروج من الموقف المتأزم

- نركن حالًا حضرتك.. بس الله يكرمك اركنها انت عشان أنا ما بعرفش اسوق غير اوتوماتيك.. ماليش في المانيوال خالص.. حتى بقالي ساعة بأدوّر على الدبرياج ودايخ عليه مش لاقيه.

عقد القائد حاجبيه في غضب واندهاش وهو يقول

- انت حتستعبط يا جدع انت؟؟ انت عاوز تفهمني انك راكب مركب بالحجم ده ومش عارف تمشيها؟!!

نطق "حلو" في سرعة

- ان شالله اطفحه سعادتك ما اعرف

صاح القائد في رجاله قائلًا

- ارسى على البر يا ابني انت بالمركب دي وهاتولي البني أدم ده عشان نشوف حنعمل فيه إيه ونشوف صاحب المركب اللي بيقول عليه.. ليلتك سودة انت وهو.. انا حصادر المركب دي بالبضاعة اللي عليها وحاخرب بيوتكم

هز "حلو" كتفيه في لا مبالاة قائلًا

- صدقني أنا مش حمنعك.. ان شالله تبيع منها في الاشارات حتت تنضيف

ازداد غضب القائد مع تلك الجملة وتحرك رجاله نحو مقود السفينة الكبيرة واقتادوها نحو البر في حنكة.. متجهين إلى أول مكان يمكن فيه إرساء السفينة.. ونزل منها الجميع إلى البر حيث قال "حلو" متسائلًا في قلق

- دلوقتي حضرتك السفينة معاكم.. وتحت أمركم.. ممكن أروح أشوف الراجل صاحبها عشان ييجي يتصرف معاكم ويشوف برضه أكل عيشه؟؟

قالها "حلو" وهو يزمع في قرارة نفسه الهروب فور أن يتركوه يرحل.. ولكن قائد الدورية النهرية قال في غضب

- الكلام ده.. تقوله في قسم المعادي.. هناك تبقى تتصل بالزفت صاحب المركب وتقوله يشرف هناك.. احنا حنسلمك هناك وخلاص.. أنا مش فاضيلكم.. والمركب متحفظ عليها بمعرفتنا

بدأ التوتر يسري في عروق "حلو" مرة أخرى وهو يصيح في فزع

- قسم المعادي؟؟ يا لهوووي.. يااااالهوي.. بلاش القسم الله يكرمك.. طيب اقولك.. بلاش قسم المعادي طيب.. تعالى نروح قسم مصر القديمة.. أنا مش مهم.. إرحم الضابط اللي هناك الله يكرمك.. ده اليوم لسة في أوله حروح منه فيييييين يا لهوووووووووووي

صرخ القائد في الافراد المرافقين له

- ياللا على القسم

وهنا.. قرر "حلو" أن يقوم بأخر شيء متوقع في مثل هذا الموقف

في لحظة واحدة كان قد تملص من يد مرافقه.. وانطلق يجري عابرًا الطريق وكأن شياطين الأرض كلها تطارده.. ومن وراءه.. انطلق أفراد الدورية

وبدأت المطاردة مع نسمات الفجر الأولى

*****

شارفت الساعة على الرابعة و النصف من صباح اليوم في الوقت الذي دلفت فيه "سعادة" ووالديها إلى منزلهم حيث قالت في تعب بالغ

- حمدالله على السلامة يا ماما.. الحمدلله أننا عرفنا نخرج من القسم بعد الحاجات الغريبة اللي حصلت دي.. ده الضابط كان حيتجنن أما الحرامي هرب من القسم من وسطنا كدة.. دول زمانهم قالبين الدنيا

ارتمت "أم سعادة" فوق أول مقعد قابلها وهي تقول

- اااه يا ناري.. هرب الكلب الجبان المجرم.. هرب قصاد عنينا كلنا وما نعرفش راح فين.. فص ملح وداب.. قال كلمتين بكش من بتوعه وهووووب.. اختفى.. والضابط الله ينتقم منه.. قفش فينا احنا وعملنا محضر ازعاج سلطات عشان يقفل ورقه

ابتسمت "سعادة" وهي تحاول منع ضحكتها من الخروج في الوقت الذي قال فيه والدها

- ضابط غبي انه سابك

صرخت "ام سعادة" فيه صرخة هادرة وهي تقول

- بتقوووووول ايه؟؟؟

اسرع قائلًا

- قصدي أقول انه ضابط غبي أنه سابك من غير ما يطمنك أنه قبض على الحرامي المجرم السفاح الإراري اللي كان جي يدبحنا أنا وانتي والبنت.. ده كان لازم يعين حراسة عليكي

- اااااه.. باحسب.. هو عمومًا كان شكله متلجلج كدة ومش على بعضه.. أول ما الحرامي فص ملح وداب ابتدى يلف حوالين نفسه ويقول كلام مش مفهوم.. زي "هو كل يوم بقى ولا ايه؟" وقعد يبرطم كدة

- معلش.. هو لازم يبرطم طبعًا.. انتي كنتي مؤثرة جدا معاه كلنا حسينا بكدة

- اه طبعًا.. أنا مكنتش حسيبوا لولا أنه حلف ليوجملي تهمة ازعاج سلطات وتعدي على موظف اثناء تأدية عمله.. بس مش مهم.. مسيري اقفش الحرامي ده تاني.. حيروح مني فين؟؟

- أيوة يا حبيبتي.. انتي اقعدي استنيه لأنه أكيد مش حيضيع وقت وأكيد حيجي عشان يدبحك ونخلص

- ايييييييييه؟؟؟؟

- قصدي يدبحك ويخلص عشان ما يكونش ساب شهود يعني اقصد.. زي الأفلام اللي قاعدة قصادها طول النهار والليل

- اااااه.. فعلًا.. انا مش حيجيلي نوم الليلة دي.. حأقعد أسهر أما اشوف حيجي ولا لأ.. دايمًا في مسلسل "إن سي إس أي" كان بيرجع.. دايمًا

- خلاص.. أنا حخش أنام بقى عشان نبدل أدوار بكرة الصبح.. وانتي تنامي.. ماشي يا بطة حياتي؟

وقام الأب والتفت إلى "سعادة" وهو يرسم لها بوجهه إيحاءات مضحكة مما دفع "سعادة" إلى كتمان ضحكتها بصعوبة وهي تقول معقبة

- أنا كمان داخلة أريح جسمي يا ماما شوية.. تعبانة والنور ابتدى يشقشق ومحتاجة أريح جسمي شوية

قاطعتها والدتها وهي تسأل في انزعاج

- مفيش أخبار عن سبع البرومبة؟؟!!

تحولت ملامح "سعادة" إلى الحزن وهي تشير برأسها أن لا.. ونهضت متجهة إلى غرفتها.. دخلت إليها وأغلفت بابها.. اقتربت من الفراش وألقت بجسدها وهمومها المتثاقلة فوقه واسندت رأسها إلى طرفه وهي تفكر في صمت.. تُرى أين يمكن أن يكون "حلو" في هذه اللحظة؟؟

وماذا تراه يفعل؟؟

*****

"وقَف عندك بقوووووووووووووووول"

كان هذا هو صراخ أحد العساكر المطاردين لـ "حلو" عبر شوارع المعادي الفارغة من المارة في هذا التوقيت من عمر اليوم وهذا الطقس البارد في قلب الشتاء أيضًا

شعر "حلو" أنه يجري كالمسوس.. وكان جسده الرشيق عاملًا مساعدًا على الانطلاق بخفة ومهارة بين المبانى وفي الطرق المتفرعة ومن خلفه رجال الشرطة بلا يأس

كان يجري وقد اختار طريقًا خاصًا.. يقوده مباشرة إلى بيت "سعادة".. ومع مرور الدقائق.. زاد فارق المسافة بينه وبين مُطارديه.. حتى بدأوا في الغياب عن نظره.. في الوقت الذي كان قد وصل بالفعل إلى بيت "سعادة"

وقف للحظات قليلة ليعيد تقييم الموقف.. ونفض عن رأسه فكرة طرق الباب مجددًا وخصيصًا مع وجود الفقمة القطبية الملقبة بـ "أم سعادة".. ولهذا خطرت في رأسه فكرة سريعة وضعها موضع التنفيذ على الفور

انطلق "حلو" إلى جانب العقار.. وقفز في منتهى الخفة متعلقًا بمواسير الصرف التي سوف تقوده إلى الاقتراب من شرفة غرفة نوم "سعادة" القديمة.. وأخذ يتسلقها في مهارة حتى وصل بالفعل إلى محازاة الشرفة وامتدت يده تدفعها في هدوء فأنفتحت.. أعقبها بقفزة قوية من فوق المواسير ليتعلق بإطار النافذة ويدخل إلى الغرفة المظلمة في صمت الغزلان.. ورشاقة الفهود

وقع نظر "حلو" على أروع ما رأت عيناه في تلك الأيام.. وربما في حياته بأسرها.. وقع نظره على "سعادة".. وهي تتمدد على جانبها فوق فراشها متكئة على ذراعها وتضم ساقيها إليها وكأنها طفلة صغيرة تنشد دفئًا ولا تجد من يمدها به

انفطر قلب "حلو" لرؤياها في هذا الحال مع شعوره بسعادة غامرة في نفس الوقت.. كان يريد أن يقترب منها ويضمها إلى صدره حتى يذوب قلبيهما ويمتزجان سويًا فلا ينفصلان أبدًا مرة أخرى

كان يريد أن يصرخ لها بكل مشاعر الحب التي حملها لها طوال عمره وتناساها في خضم مشاكل الحياة التي لا تنتهي

اقترب "حلو" في هدوء شديد حذر.. وعيناه لا تفارقان وجهها.. جلس إلى طرف الفراش في خفة واقترب منها وابتسم.. امتدت يده تتحسس وجنتها الدافئة.. فبدأت في الإفاقة من غفوتها ووقع نظرها عليه

- حراااااااااااااااامـ...

كتم "حلو" فمها في لحظة واحدة وهو يمسكها ويشير بأصبعه الأخر على فمه كعلامة للصمت.. ولكنها كانت قد وصلت إلى مرحلة من الفزع جعلتها لا تكاد تقوى على الصراخ من الأساس.. مما جعل "حلو" يقول لها في همس محاولًا أن يُهدأ من روعها

- أنا مش جي ادبحك

شهقت "سعادة" واتسعت عيناها في رعب مما جعله يقول مرة أخرى

- ما تخافيش.. والله ما حأذيكي خالص.. بالعكس.. دا أنا جي أسعدك

بدأت علامات الفزع تظهر على وجه "سعادة" مع همس كلماته وبدأت الافكار تداعب رأسها ويده ما تزال تكتم أنفاسها.. فقال مُكملًا

- مش قصدي حاجة عيب لا سمح الله.. أنا اقصد.. أقصد.. يعني أقصد أني جي أخليكي تحسي بحاجة جميلة ما حسيتيهاش من زمان.

تسمرت عينا "سعادة" على وجه "حلو" في انفعال وهي تراقبه ولا تقوى على الحراك ولا مجرد المقاومة وهو يكمل بعد أن منحها أبتسامة عذبة

- أنا عارف انتي اتعذبتي أد ايه في الفترة الأخيرة.. وعارف قد أيه اتظلمتي.. وعارف قد إيه ضحيتي.. وأكيد لازم حد يرد لك جزء ولو بسيط من تعبك ووجعك وتضحيتك.. حتى لو عن طريق فسحة أو مغامرة أو حاجة ما عيشتيهاش قبل كدة.. انتي بقالك سنين ما اتفسحتيش فسحة حلوة

بدأت "سعادة" تعقد حاجبيها وهي تستمع إلى كلماته التي مست جانبًا مظلمًا في كيانها.. ولكن نظرات الشك التي انطلقت من عينيها كانت تؤكد أنها ما زالت في مرحلة الرعب الشديد.. وهذا ما أيقنه "حلو".. أيقن أن كلماته لن تمثل أي قيمة لـ "سعادة" خلال الفترة التي تشعر فيها بهذا الحجم من الرعب

نظر إلى عيني "سعادة" مباشرة.. بصمت تام.. وعلى وجهه إبتسامة هادئة.. بينما لم ترفع عينيها من فوق عينيه وهي تغوص فيهما وترتعد فرائصها.. ولكن

لسبب ما بدأ الهدوء يجد طريقه إلى قلبها.. لسبب ما شعرت "سعادة" ان هاتين العينين ليستا غريبتين أبدًا.. وأنهما لا تضمران شرًا لها على الإطلاق.. نظرات ليست مخيفة.. بل محببة إلى قلبها.. مألوفة لديها.. ولكنها لا تعرف هذا الشخص.. حتى يده التي تكمم فمها.. لا تؤذيها.. بل أنه يضعها بكل هدوء على فمها.. ولا تدري هي لما شعرت بأن ملمسها معتاد

دقائقٌ مرت وهي تتسائل في قرارها.. و"حلو" لا يزال يرمقها بذات النظرة الحانية المحبة.. وفوق شفتيه أفضل ابتساماته.. ثم ما لبث "حلو" ان بدأ في هدوء يسحب يده من فوق فم "سعادة" وعلى وجهه ذات الابتسامة وذات النظرة.. إلى أن جلس مواجهًا لها وقد عادت يده إلى جانبه

لماذا لا تصرخ؟؟؟ لماذا لا تملأ الدنيا عويلًا؟ لماذا لا تستنجد بأحد ما؟؟ ما هذا الهدوء الغريب الذي يغزو أطرافها؟؟

إن مجلسه ونظراته ولمساته تذكرانها بشخص ما.. شخص قريب محبب إلى قلبها..

إنه يذكرها بـ....

قطع حبل أفكارها تحطم باب غرفتها في عنف شديد.. ودخل منه الضابط "عمار" وهو يشهر سلاحه في وجه "حلو" قائلًا وحوله عدد من افراد الشرطة مدججين بالأسلحة

- ولا حركة.. حركة واحدة وحضربك رصاصة تجيب أجلك

انفجر الموقف مع انتفاضة "حلو" وعودته إلى الوراء مُلتصقًا بالجدار.. بينما دلفت "ام سعادة" إلى الغرفة وأبيها الذي توجه إلى "سعادة" وضمها في خوف بينما صرخت "ام سعادة" في جذل واضح

- أنا قلت أنك حاترجع تاني.. أول ما سمعت البت بتصرخ نص صرخة.. فهمت.. وكلمت البوليس يا حرامي يا سفاح يا.. يا.. إيه ده؟؟ مين ده؟؟؟ انت مين؟؟ ده مش هو الحرامي!! ده واحد تاني!! مين ده؟؟

نظرت "ام سعادة" إلى "سعادة" وهي تتسائل

- مين ده؟؟؟

ثم إلتفتت إلى الضابط "عمار" وهي تردد

- مين ده؟؟؟!!!

صرخ الضابط "عمار" في وجهها وهو يقول

- بس يا وليه.. بس لاخدك رصاصة انتي كمان.. حللي عني الساعة دي.. جننتوني بقالكم كام يوم.. هو أنا فاتح القسم عشانكم؟؟!! اسكتي

ثم إلتفت إلى "حلو" وهو لا يزال موجهًا سلاحه إليه مباشرة قائلًا

- جرى إيه يا ولاد الحرام؟؟ بقالي تلات أيام ما نمتش وحاسس أن المعادي اتحولت لشيكاغو في عزها بسببكم.. انت

مين اللي باعتك هنا وعاوزين إيه من العيلة المهبوشة دي؟؟ ومين معاك تاني؟؟ انطق؟؟؟

شعر "حلو" ان الموقف يزداد تأزمًا.. وأن الوضع على وشك الإنفجار بالفعل.. الكل مصاب بالتوتر القاتل.. الكل لم يعد يحتمل مزيدًا من المفاجآت.. ولكنه لن يخاطر بفقدان شعور "سعادة" هذه المرة.. إنها لن تفهم ما يحدث مهما حاول أن يوضح لها في ظل هذا الموقف شديد التعقيد

كانت اشعة الشمس قد بدأت تجد طريقها إلى قلب الغرفة في هذا الوقت المبكر من النهار.. وقد قاربت الساعة على السابعة صباحًا

قطع صمت المكان صوت الضابط "عمار" وهو يعيد سؤاله في لهجة صارمة

- انت حتنطق أنت مين ولا افرغ فيك رصاصتين ونخلص بحلقك اللي في ودنك ده؟

اجاب "حلو" في سرعة

- لا لا لا.. مالوش لزمة طبعًا حضرتك.. بمنتهى البساطة حضرتك... أنا سندباد

- يا دي النهار الازرق.. يا ابني بلاش استفزاز على الصبح أنا ما نمتش بقالي كتير والسلاح شاطر.. ما تستفزنيش

- يا باشا والله ما بستفزك ولا حاجة.. أنا اسمي سندباد حضرتك.. وشغال مع السيرك القومي.. عشان كدة لابس اللبس ده.. وأنا جي عشان في حد باعتني للست سعادة

انعقد حاجبا "سعادة" في شدة وهي تستمع إلى تلك الكلمات.. بينما صرخت أمها وهي تقول

- السفاح ابن السفاااحة.. هو اللي بعتك عشان تخلّص اللي معرفش يعمله.. اضربه بالرصاص يا حضظابط.. اضربه بالرصاص بسرعة يا حضظابط.. حضظاااااابط

صرخ الضابط "عمار" في "ام سعادة" في جنون وهو يقول

- يا ست أنتي اسكتي.. سدي بقك ده خالص.. بقك ده جايب ساقعة اكتر من الشباك المفتوح هناك.. كفاية بقى اسكتي.. وانت يا بني أدم.. ايه الزفت اللي بتقوله ده.. انت مين ومين اللي باعتك هنا؟؟ انطق بدل ما افرغ المسدس ده فيك وفي الولية دي واخلص منكم انتوا الجوووووووز

اطرق "حلو" برأسه قليلًا.. ثم رفع عينيه إلى "سعادة" التي ترمقه في أهتمام بعد كلماته الأخيرة وهو يقول مبتسمًا في صوت هادىء

- أنا اللي باعتني.. واحد كان تايه في الدنيا ومشاكلها.. واحد اختفي في روتين الحياة.. ونسي وسط الزحمة الإيد اللي كانت ماسكة في ايديه.. وما بقاش حاسس بلمستها.. ولا بقوتها.. ولا بحنانها.. أنا اللي باعتني.. إنسان كان نسي تمامًا.. ان شريكة

حياته.. محتاجة السعادة والرومانسية والروح الشقية اللي بتخللي حياة كل اتنين حياة جميلة

كانت ملامح "سعادة" تتحول إلى الذهول من وقع الكلمات.. كانت تشعر وكأن كل كلمة تدخل إلى وجدانها فتحطم حجرًا وتنتزع من وراءه حبًا وعشقًا دفينًا.. قفز إلى عقلها صوت "حلو".. وأسلوبه.. وذكرياته معها في الجامعة.. وقصة حبهما الجميلة.. شريط حياتهما بالكامل دار في عقلها في لحظات قصيرة بينما أستكمل "حلو" كلماته في حنان

- اللي باعتني.. بيقول إنه شال التراب اللي على قلبه فارجع يدق تاني.. زي الأول وأكتر.. وإن شعوره معاكي بأقل قدر من "السعادة" بكل تأكيد حيكون شعور "حلو".

ورغم أن الساعة لم تكن قد تعدت السابعة صباحًا ببضع دقائق.. إلا أن الأمور قد تفجرت مرة أخرى فور أن بدأت سحب من الألوان في الظهور مرة أخرى.. وبدأت الأشكال في التداخل مرة أخرى

نظر "حلو" بسرعة إلى النافذة ليتأكد أنه ما زال في بداية النهار.. وأن اليوم ما زال في أوله.. ولكنه شعر بذات الشعور الذي يشعر به مع نهاية كل حكاية.. لذا.. لم يعر الأمر كثيرًا من الأهتمام حين نظر إلى "سعادة" مرة أخيرة وملامحه تبدأ في الأختفاء في قلب ضباب الألوان البراقة وهو يقول

- اللي باعتني.. شايل ليكي في قلبه اكتر من سعادة بابا نويل للعالم كله.. وأكتر من حب انطونيو لكليوباترا.. وأكتر من حلاوة روح وشقاوة السندباد لبلاد الدنيا

ارتجفت "سعادة" لوهلة وهي تحدق في عينا "حلو" وهي لا تزال بين ذراعي والدها وهي تتمتم في خفوت شديد للغاية بصوت لا يكاد يخرج من فمها

- حلو؟؟؟؟؟

ولكن "حلو" قد رأها بالفعل وسمعها.. فأعطاها افضل ابتساماته.. قبل أن يغيب في ضباب الألوان ويختفي مرة أخرى وأخيرة

*****

ألوانٌ.. ألوانٌ.. ألوان

لا جديد

نفس المظاهر التي يعود بها "حلو" في كل مرة من احدى الحواديت التي يرسله خلالها كتب الحواديت العتيق

وجد "حلو" نفسه من جديد داخل القبو المظلم الذي تضيئه تلك المصابيح الضعيفة

وهو على هيئته الأصلية مرة أخرى

كانت العديد والعديد من الأسئلة تدور في رأسه بلا توقف.. وفور أن وقعت عيناه على الكتاب قال في غضب

- معلش عشان في سؤال مهم في المرحلة دي.. هو أنا شغال عند اللي جابوك لا مؤاخذة وأنا مش واخد بالي؟؟؟؟

صدرت من "حليمو" ضحكة قصيرة للغاية اتبعها بسؤال

- ليه كدة بس يا حلو؟ دا انا بحاول أساعدك يا ابني

صاح "حلو" قائلًا

- تساعدني؟؟؟ انت بتستهبل؟؟ انت متفق معايا أن النيلة الحدوتة تخلص أمتى؟؟

رد "حليمو" قائلًا في سرعة

- الساعة اتناشر بالليل وقت هروب سندريلا

قال "حلو" مستمرًا في غضبه

- ولما هي نيلة "سندريلا" كانت بتهرب في إنصاص الليالي.. ممكن أعرف بس ازاي سحبتني على ملا وشي والساعة يا دوب لسة ما جاتش تمانية صباحًا؟؟؟ ده كدة تزوير رسمي في الحواديت.. إيه شغل سرقة دقيق العيش في أفران الحكومة ده؟؟؟؟!!

ضحك "حليمو" ضحكة قصيرة ثم قال

- أصل الموضوع اختلف كتير المرة دي.. والأمور أتغيرت.. وجد جديد.. وفيه ضرورة قصوى

نظر "حلو" إلى الكتاب في غضب وقال متسائلًا وهو يوليه ظهره

- اتغيرت في أيه بقى أن شاء الله؟؟ غيروا التوقيت الصيفي تاني وأنا مش دريان؟؟؟ أنا عارف.. الحكومة دي حتجيبلي شلل.. حتى في الحواديت

ضحك "حليمو" من قلب الكتاب وهو يقول

- لا.. الحكومة مالهاش دعوة.. والتوقيت مالوش دعوة كمان.. انما الحج عزازي هو اللي له دعوة

التفت إليه "حلو" مُندهشًا وعلى وجهه علامات الاستفهام مما جعل "حليمو" يُكمل قائلًا

- عمومًا.. مفيش وقت كتير باقي للشرح.. كلها كام دقيقة وحتفهم كل حاجة

ثم بدى على نبرات صوته علامات التأثر وهو يقول

- إنت حتوحشني قوي يا حلو.. بس أديك عرفت السكة.. وعارف تلاقيني فين.. ما تبقاش تنسى عمك حليمو اللي بينقل الحواديت

ازداد أندهاش "حلو" من كلمات الكتاب وقال

- هو في إيه يا حليمو؟؟ انت حيتقبض عليك ولا حاجة؟؟؟ جالك عقد عمل في السعودية ومسافر طيب؟؟؟ أنا مش فاهم حاجة

ضحكة صدرت من قلب الكتاب في حنو وهو يقول

- أقل من خمس دقايق وحتفهم.. أقل من خمس دقايق وحتلاقي الحج عزازي داخل عليك دلوقتي.. وتخرج من تاني للدنيا.. وتروح تشوف سعادة بجد.. وتقولها على كل اللي نفسك فيه

وقف "حلو" صامتًا فاستكمل "حليمو" كلماته قائلًا

- عارف يا حلو؟.. أنا حقولك على حاجة حتستغرب ليها قوي.. انت خلقت لنفسك حدوتة جديدة.. حدوتة مش بس بيحاول فيها البطل يوصل لحبيبته زي كل الحواديت اللي بننقلها للناس.. لا.. انت خلقت حدوتة بيحاول فيها البطل يحافظ على حبيبته للأبد بعد ما وصلها فعلًا.. انت خلتني لأول مرة من آلاف السنين أشوف نهاية جديدة للحواديت

بدت على وجه "حلو" علامات التوتر والأنزعاج وهو يقول

- أنا مش فاهم حاجة بصراحة.. ومش عارف ليه الحواديت بتاعتي ما كملتش للأخر يا حليمو أو مشيت بشكل مظبوط.. وبصراحة.. مش شايف أني قدرت أوصّل حاجة من اللي جوة قلبي لسعادة.. أنا حاسس أني فشلت تمامًا يا حليمو

قال حليمو في رفق

- بالعكس.. لازم تفهم إن قيمة الحواديت يا حلو بتكون دايمًا في المحاولة.. والإصرار على المحاولة.. والتمسك بالقيمة الوحيدة للحدوتة.. اللي هي الحُب.. وانت في كل حدوتة من الحواديت اللي رحتها.. كنت بتحاول من كل قلبك.. ومُصمم.. ومُصر.. ودي الحاجات اللي حتنجح حدوتة كل بني أدم بيحب شريكة حياته.. سواء قبل الجواز أو بعد الجواز.. المحاولة والتصميم والإصرار على الحب

صمت "حلو" للحظات.. وهو يُفكر في كلمات العجوز التي مست جزءًا من قلبه.. وجعلته يشعر بالاشتياق إلى "سعادة" مرة أخرى

بالفعل.. انه يُحبها.. يعشقها.. رغم كل الظروف المحيطة بها.. رغم جلبابها الذي شوهته بقع الزيت والذي لم تعد تُلقى بالًا لتغييره.. رغم صوت ضرباتها المتتالية للحشرات في المطبخ وصراخها فرحًا بتحطيم رؤوس ما تطاله يدها منهم.. رغم وزنها الزائد الذي لم تعد تهتم بمحاولة انقاصه.. رغم كل ما يحيط بعلاقتها من توتر لعدم الانجاب حتى الآن وحالتها النفسية المتردية لهذا السبب تحديدًا.. إلا أنه بكل بساطة.. يذوب عشقًا في مُحيّها

هي فقط من أرادها في الماضي.. وسعى إليها.. وهي فقط من يعيش حاضره إلى جوارها رغم لطمات أمواج الحياة القاسية.. وهي فقط من يرغب في أن يستيقظ من نومه بعد سنوات عدة ليُطالع وجهها الصبوح إلى جواره

لم يحلم بأكثر من هذا في الماضي.. ولكنه نسى.. أو تناسى.. والآن.. الآن فقط.. يتذكر

قطع حبل أفكاره الصوت العتيق الصادر من قلب الكتاب "حليمو" وهو يقول

- دقيقة واحدة.. وحيكون الحج عزازي هنا.. إوعى تنساني يا حلو.. وخليك دايما فاكر الكلام اللي قلتهولك

ابتسم "حلو" في هدوء وتأثر وهو يجيب

- أنا مش حاقدر أنسى انك كنت السبب الأساسي في اني اعرف قيمة حبي الحقيقي لسعادة.. وعمري ما حانسى اليومين الحلوين اللي قضيتهم معاك.. طبعًا بغض النظر عن مشاهد للكبار فقط اللي كنت بتبعتني فيها دي إلا أني فعلًا فهمت حاجات كتير قوي عن الحب وسنينه السودة

ضحك العجوز "حليمو" ضحكة قصيرة قبل أن يقول

- مش حقولك توتة توتة خلصت الحدوتة.. لأن الحواديت في الأصل ما بتخلصش.. الحواديت بتستمر وتعيش طول ما ابطالها عاوزينها تستمر وتعيش.. أشوف وشك بخير يا حلو

وبدأت الألوان في السطوع بشدة في القبو.. وبدأت المصابيح الصغيرة تزداد إضاءة وقوة... وتداخلت الأشكال للحظات قليلة.. ثم ما لبث كل شيء أن عاد إلى هدوئه مرة أخرى و الكتاب مغلق كما كان في بداية الأحداث

ومع عودة كل شيء إلى طبيعته.. انفرج باب القبو عن الحج "عزازي" وهو يدخل إلى القبو وعلى وجهه علامات الإعياء والإجهاد.. وهو يقترب من "حلو" في بطيء ويقف أمامه مذهولًا ثم يقول

- أنا قلت اني اكيد حاجي الاقيك جثة هامدة او شبه ميت.. انت بقالك اكتر من تلات أيام تقريبًا من غير أكل ولا شرب.. انت واقف كدة وواعي ازاي؟؟؟!!!!

نظر له "حلو" نظرة فرحة وقال

- بقى كل ده بتجيب كوباية شاي يا حج؟؟؟ دا انت لو رحت تجيبها من مزارع الشاي في الهند مشي كان زمانك جيت

نظر له الحج "عزازي" في ذهول مستمر مما جعل "حلو" يكمل في مرح

- المهم أنك جيت.. عُمر الشقي بقي.. حافهمك أنا.. انا أصلي كنت اتعلمت من شوية رهبان صحابي من التبت كانوا جايين يدرسوا و مقيمين في المدينة الجامعية بتاعة الأزهر هنا واتسمموا في حادثة أكلة كشري.. المهم.. اتعلمت منهم كيفية الانخفاض بمعدلات الأيض إلى أقل درجة ممكنة لمقاومة الجوع والعطش.

نظر له الحج "عزازي" في عدم فهم تمامًا وهو يقول

- إيه يا ابني اللي بتقوله ده؟؟ ايه حكاية الأيض دي؟؟

رد "حلو" في سرعة قائلًا

- لا.. انت اظاهر ما كنتش بتتابع برنامج "سر الأيض" اللي كان بيجي في التليفزيون!! بص يا حج عزازي حفهمك لما نطلع من هنا.. يا تلحقني يا ما تلحقنيش عشان أنا خلاص حموت أدخل الحمام

وبالفعل خرجا سويًا من القبو واتخذا طريقهما للصعود ومنها إلى خارج المتحف حيث كانت سيارة "عصام عبدالراضي" واقفة تنتظر وفي داخلها أيضًا "سلمى" إبنة الحج عزازي التي أصرت أن تأتي معه نظرًا لحالته الصحية المتردية بعد أن افاق في المستشفي

وتذكر أنه قد ترك "حلو" في القبو وصمم على المجيء رغم حالته الصحية وتحذيرات الأطباء

وما أن رأه "عصام" حتى قفز من سيارته واقبل عليه واحتضنه في شدة وهو يطمأن عليه.. مما جعل علامات الأندهاش تبدو على ملامح "حلو" وهو يقول

- ايه ده يا جدعان؟؟؟ هو في أيه؟؟؟ ايه حضن المطارات ده؟؟ حد قالكم أنا كنت في عُمرة ولسة واصل؟؟ إيه اللي جابك هنا يا عصام؟؟

نظر له "عصام" في اندهاش وهو يقول

- يا ابني ده الدنيا مقلوبة عليك بقالها تلات أيام.. في الوزارة والبيت.. وكمان سعادة بُرج من دماغها حيطير حتتجنن من القلق عليك.. ده غير أنك اختفيت فجأة ومحدش لا عارف يجيبك بالموبايل ولا عارفين نوصلك لطريق.. ولولا عرفت أوصل للحج عزازي اللي فاق انهاردة الفجر بس، أنا أول ما كلمتني سلمى من ساعتين اخدت بعضي وعديت عليهم في المستشفي جري وجينا.. والحمد لله إن انهاردة الجمعة ومفيش بني أدم في الشارع الساعة دي تقريبًا.. والمتحف مش شغال كمان

استمع "حلو" إلى كل تلك الكلمات في انبهار.. ولكنه لم يردد منها إلا جملة واحدة

- سعادة؟؟ قلقانة عليا؟؟؟

- حتموت يا ابني من القلق.. دي ما نيمتنيش من يومين وأنا داير ألف وراك وأدور عليك في كل حتة زي العيل التايه

ردد "حلو" في حب وشرود

- سعادة قلقانة عليا.. وحشتني قوي

امتدت يد "عصام" إلى هاتفه المحمول الذي رن في جيب سترته وفور أن اخرجه ضغط ازراره ليجيب المتصل في سرعة ويبتسم ليلقي هاتفه إلى "حلو" الذي تلقفه ليأتيه عبر الطرف الأخر من المحادثة الصوت الأكثر خلابة في حياته.. الصوت المحبب إلى قلبه.. صوت "سعادة"

- الو.. أيوة يا عصام.. في أخبار عن حلو؟؟ حموت يا عصام من القلق والدنيا هنا ملخبطة جدا وفي حاجات غريبة بتحصل.. أنا خايفة قوي قوي يا عصام على حلو.. حموت خلاص مش قادرة

استمع "حلو" في هيام إلى كلمات "سعادة" التي تقطر قلقًا وعشقًا.. ثم قال في هدوء

- وحشتيني يا بطة

جاء صوت شهقة المفاجأة عبر المحادثة قويًا تلاه صرخة قوية من "سعادة" وهي تقول

- حلو؟؟؟ انت حلو؟؟ انت فين يا حلو؟؟؟ حرام عليك يا حلو.. حرام عليك والله.. حرام عليك حموت

وتحشرجت الكلمات في حلقها وانفجرت في بكاءٍ عميق ظهر واضحًا عبر الطرف الأخر.. مما جعل "حلو" يبتسم في حنان وهو ينصت إلى صوت بكاءها ثم يقول

- صوت عياطك.. احلى من صوت الأجراس اللي في رقاب الرنّة اللي بتجر عربية بابا نويل

توقفت "سعادة" عن البكاء دفعة واحدة وهي تنصت بإندهاش إلى كلمات "حلو" وتتذكر يومين ماضيا.. ولكنها لم تنطق.. مما جعل "حلو" يُكمل مبتسمًا وقد شعر أن كلماته قد أيقظت بداخلها مزيدًا من التساؤلات

- وبرضه صوت عياطك احلى من صوت كل كلمة حب قالها انطونيو لكليوباترا

زاد اندهاش "سعادة" مع بدأ تداخل العديد من الأفكار إلى رأسها والدموع وصوت بكاءها الذي خفت لا يزال على الطرف الأخر.. مما جعل "حلو" يُكمل

- عارفة صوت عياطك أحلى من إيه كمان ولا مش عارفة ؟؟؟

تساءلت "سعادة" من بين دموعها وقد بدأت ابتسامة خفيفة ترتسم على شفتيها

- إيه كمان ؟!

ابتسم لسماعه صوتها وهو يقول بصوت لعوب

- أحلى من صوت الشباشب اللي بتنزل تطرقع على دماغ الصراصير في المطبخ يا بطططططططة

أطلقت "سعادة" ضحكة قصيرة مرحة والدموع ما زالت فوق وجنتيها تبرق كحبات اللؤلؤ.. ولكنها قالت

- حلو في حاجات كتير حصلت عاوزة احكيلك عليها.. عشان مش فاهمة حاجة.. انت وحشتني قوي.. وفي حاجات كتيرة قوي حصلتلي الأيام اللي فاتت.. تعالى بسرعة يا حبيبي.. انت واحشني قوي.. نفسي أشوفك وتبقى قصاد عيني

ذاب قلب "حلو" عشقًا لسماع كلماتها الطيبة.. فقال في هيام

- جايلك هوا.. حالًا.. مسافة السكة.. أنا كمان عندي حواديت كتيرة قوي قوي عاوز أحكيلك عليها

اندهشت "سعادة" لكلماته وهي تسأله

- حواديت؟؟؟ حواديت إيه اللي عاوز تحكيلي عليها؟؟؟

اتسعت ابتسامة "حلو" عن اخرها.. وهو يلتف لينظر إلى متحف دار الكتب مرة اخرى ويقول لها

- حواديت السعادة

*****

- ها ؟؟ البنات ناموا ؟؟

اومأ "حلو" برأسه إيجابًا وأغلق باب الغرفة خلفه في هدوء ثم وضع الكتاب الكبير من يده فوق المنضدة المجاورة لباب الغرفة قبل أن يتجه على أطراف أصابعه إلى حيث تجلس "سعادة" على الأريكة أمام التلفاز تتابع أحداث فيلم أجنبي، وما أن جلس إلى جوارها حتى أحاطها بذراعه في ابتسامة قائلًا

- صوتي اتنبح معاهم وأنا عمال احكيلهم الحكاية بتاعة كل يوم، وبعدين ما بيزهقوش منها بقى، وأقعد أحشي في هدوم في بطني عشان بابا نويل، وأقف بالفانلة الداخلية في البرد عشان انطونيو، واتنطط على السراير زي القرد عشان سندباد وشغلاااانة، كان يوم غلط يوم ما حكيتهالهم أول مرة الحكاية دي

ضحكت "سعادة" بصوت عال وأسرعت بكتمان ضحكتها بكفيها خشية ايقاظ الفتيات مما جعل "حلو" يستطرد قائلًا

- إضحكي يا اختي اضحكي.. وصحيهم وخليني احكي واجيب من الأول تاني بابا نويل وانطونيو وسندباد.. إضحكي

استمرت "سعادة" في الضحك مع استمرار "حلو" في كلماته بطريقته الساخرة المعتادة إلى أن قاطعها "حلو" قائلًا

- بس إيه الحلاوة دي والعسل ده والجمال ده؟

إحمر وجه "سعادة" وهي تزيح يده من وراءها وتقول

- مالكش دعوة يا فالح وخليك في حالك

ارتفع حاجبا "حلو" في اندهاش وهو يقول

- يا حومتي؟!! بقى أنا بقالي ساعتين ونص بحاول أنيم بناتك التلاتة جوة وفي الاخر تقوليلي خليك في حالك؟!! ده أنا اعملكوا مجنون هنا الليلة دي!!

دارت "سعادة" ابتسامتها الخجولة وهي تقول له دون أن تنظر إليه

- ما إنت مش حتودينا لماما بكرة زي ما أنا طلبت منك وماسك في رأيك

اعتدل "حلو" مبتسمًا وهو يقول لها

- يا حبيبة قلبي بكرة أنا قايلك انه بتاعي أنا وانتِ بس مفيش ماما ولا بابا، خلي ماما تنكد علينا في يوم تاني، العيال بس اللي حنعديهم على ماما تجلدهم براحتها، إحنا زوغان بقى، ده حتى عصام كلمني كان عاوزنا نخرج معاه هو ومراته وأنا

اعتذرت، زي ما خلعت بالعافية من الحج عزازي كدة قصادك في مكالمة الضهر، سعادة.. بقولك إيه.. أنا واخد اجازة بالعافية يومين وعاوز اعيد فيهم الذي مضى يا غزال انت يا عسل.. انا منبه على البواب أي حد يسأل عليا من سكان العمارة يقولهم مسافر.. مسااااااااااافر يا غزاااال

ازداد احمرار وجه "سعادة" وهي تتدلل وتقول

- يا سلام يا خويا، دلوقتي بقيت غزال؟؟ ما كنت زمان بطبوطتك و كلبوظتك وكرومبتك يا بكاش

ابتسم "حلو" في جذل وهو يقترب منها ويحيطها بذراعيه ويقول لها

- الكلام ده زمان قبل ما نخلف النسانيس اللي نايمة جوة دي، وبعدين برضه الكلام ده قبل ما تخسي بعد الولادة وتنافسي كيم كارديشان يا مُزة البحر الأحمر، اموت أنا في الام بي سي بوليود بالعربية.. ولا بالزلاجة حتى بلاش العربية

قهقهت "سعادة" في جذل وهي تدفعه قائلة

- بس يا حلو البنات تصحى!!!

رد "حلو" في ابتسامة لعوب وهو يجذبها إليه في تودد

- بنات مين و بتاع مين؟ خلاص ناموا ومحدش حيخلصك من ايدي

نهضت "سعادة" وهربت من بين يديه واتجهت إلى غرفة نومهما وهي تقول في دلال

- أنا حدخل أنام يا خويا، خليك بقى قاعد تابع الفيلم

قفز "حلو" نحو التلفاز فأغلقه بسرعة ثم اتجه إلى قابس النور ليطفئه.. وقبل أن يطفئه.. وقع نظره على الكتاب فوق المنضدة المجاورة لباب غرفة الفتيات.. فهرع إليه وحمله ليضعه بإهتمام في مكان خاص وسط مجموعة كتبه المميزة المنتقاة

ووقف للحظة ينظر إليه ويبتسم وهو يقرأ الكلمات التي خُطت فوق كعبه بحروف عثمانية قديمة وقرأها في صوت خافت

"حواديت السعادة"

تمت بحمد الله

عن المؤلف

مواليد القاهرة اكتوبر 1976

- خريج تجارة القاهرة عام 1998
- مؤلف الكتاب الساخر: اعترافات جامدة 2014
- أحد مؤسسي وعضو المكتب التنفيذي لمؤسسة إسمعونا لتنمية المجتمع
- عضو مجلس ادارة جريدة المواطن الاليكترونية
- كاتب حر فى عدد من المواقع و الصحف مثل
  - جريدة المصري اليوم الورقية
  - موقع جريدة المواطن
  - موقع "الجريدة"
  - موقع "شبكة أخبار مصر"
  - موقع "البديل"
  - جريدة "الوعى العربى" الورقية
- خمسة عشر عامًا في مجال التخطيط و المتابعة في كبرى شركات المشروعات الصناعية.
- له العديد و العديد من الكتابات المنشورة على موقع التواصل الاجتماعى Facebook
- للتواصل مع الكاتب .https://www.facebook.com/sherif asaad1

دار تويا للنشر والتوزيع